الرَّد عَلَى مَا جَاءَ فِي كِتابِ حَيدَر الحِلِّيّ- سِيرتُه، شِعرُه، مُؤَلَّفاتُه الأَدبيَّة. تأليف: عَليّ الحُسَينـيّ

المَطبعَة: دَارُ الفُرات للثَّقَافَةِ وَالإعلَام، العِراق، بَابِل، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م

د. مضر سليمان الحسيني الحِلِّيّ
مركز تراث الحِلَّة

Responding to what was stated in the book Haidar Al-Hilli, his biography, poetry, literary works. Written by: Ali Al-Husseini

Printing Press: Dar Al-Furat for Culture and Information, Iraq, Babylon, 1438 AH/2017 AD

Dr. Mudar Suleiman Al-Husseini Al-Hilli
Hilla Heritage Center

يَظهَر مِن تَرجَمةِ المُؤَلِّفِ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ[1]، أَنَّهُ نَشَرَ بَحثًا بِاسمِ (الشَّاعِرِ العِراقيّ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ) فِي مجلَّةِ (الأَديب) اللُّبنانيَّةِ، أَو فِي عُدَّةِ مَجلَّاتٍ[2].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ نَجاحَه ذَاكَ، فِي الكِتَابَةِ وَالنَّشرِ فِي المَجلَّاتِ اللُّبنانِيَّةِ، وَهوَ فِي مُقتَبلِ العُمرِ، إِذ تَجاوَزَ عُمرُه العِشرينَ رَبيعًا بِقَليل، هوَ الَّذي حَفَّزَهُ عَلَى وَضعِ كِتَابِهِ (حَيدَر الحِلِّيّ- سِيرتُه، شِعرُه، مُؤلَّفَاتُه الأَدَبيَّة)، وَلَكِن شَتَّانَ بَينَ الأَمرَينِ.

(١) السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: وُلِدَ فِي قَريةِ الحصين (إِحدَى قُرَى الحِلَّة الجنوبيَّة) سنة (١٩٣٨م)، مِن أُسرةٍ عَلَويَّةِ النَّسَبِ وَالمَحتِد، مِنَ السَّادَةِ الأَعرجيَّة، نشَأ في القَريةِ، وَأَخذَ تَعليمَه الأَوَّليَّ في كَتاتِيبِهَا، ثُمَّ انتَظَمَ فِي التَّعليمِ الرَّسمِيِّ حتَّى أَكملَ الدِّراسَةَ المتوسطَةَ في الحِلَّة عَام (١٩٥٤م)، بَعدهَا التَحقَ بِدارِ المُعلِّمينَ فِي بَعقوبةَ، وَبِسببِ أَفكَارِهِ المَاركِسيَّةِ فُصِلَ مِنَ المَدرسَةِ، وَسُجِنَ لمدَّةِ سَنةٍ، ثُمَّ أُعيدَ لِلمَدرسَةِ مَرَّةً أُخرَى، وَتخرَّجَ مُعَلِّمًا سَنةَ (١٩٥٧م)، فَعمِلَ فِي المَدارسِ الابتدائِيَّةِ، ثمَّ سَنحَت لَه الفرصَةُ بِمُواصَلَةِ تَعليمِهِ الجَامِعيّ، فَحَصلَ عَلَى البَكالوريوس فِي التَّربيَةِ وَعِلمِ النَّفسِ. شَاعرٌ يَكتبُ (الشِّعرَ الحُر)، وَقَد يكتبُ أَبياتًا مِنَ القَريضِ فِي بَعضِ الأَحيانِ، كَانَ لَه دورٌ فِي تَأسيسِ فَرعِ اتِّحادِ الأُدبَاءِ وَالكُتَّابِ فِي بابل سَنةَ (١٩٨٤م)، قُتِلَ فِي الكُويتِ بِتَاريخ ٢/ ٣/ ١٩٩١م، وَكَانَ ضِمنَ قَاطِعِ الجَيشِ الشَّعبيّ، لَهُ مِنَ الآثارِ: (أَعرَاس تَموز) ١٩٥٨م، و(الميلاد) ١٩٥٩م، وَ(سَفَر عَبدِ الرَّحمَنِ الدَّاخِل) ١٩٨٠م، وَ(دَفتَر المَحبَّة)، وَ(آمَنتُ بِالعِراقِ)، وَ(لؤلُؤةُ الجنُوبِ)، وَلَه بَحثٌ بِعُنوان (الشَّاعِرُ العِراقِيّ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ)، نُشِرَ بِمَجلَّةِ الأَديبِ اللُّبنَانِيَّةِ فِي عَدَد آب (١٩٥٧م)، ثُمَّ طُبِعَ هَذا البَحثُ بِاسمِ (دِراسَاتٌ فِي الأَدبِ المَنسيّ)، دار الفرات للثقافة والأعلام، العراق، بابل، لسنة ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٧م، وله (حيدر الحِلِّيّ- سيرته، شعره، مؤلَّفاته الأدبيَّة)، دار الفرات للثقافة والاعلام، العراق، بابل، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م). ينظر: حصن سامة، قرية الحصين: ٢٧٩-٢٨١.

(٢) قَالَ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ: «هَذهِ فُصولٌ دِراسيَّةٌ أَدبيَّةٌ، قُمتُ بِوَضعِهَا نَتيجةً لِلرَّغبَةِ الَّتِي نَمَت فِي قَرارةِ نَفسِي.. وَقَد سَبقَ لِهذِهِ الفُصُولِ أَنْ نُشِرَت حِينَ وَضعتُها فِي المَجلَّاتِ الأَدبيَّةِ، أَي فِي (الأَديب)، و(الورود)، و(الرسالة) اللبنانيَّات، عَلَى أَنَّ جَمعهَا فِي كِتابٍ وَنَشرِهَا عَلَى هَذِه الصُّورَةِ، سَيزيدُ بَلَا شَكٍّ فِي فَائِدتِه». دراسات في الأدب المنسيّ: ٧.

كَانَ عُمرُه (٢٣) سِـنة فَقَط عِندَمَا أَتَمَّ تَأليفَ كِتابِهِ هَذَا، وَرُبَّما عَمِلَ عَلَيهِ لِسَنَتينِ أَو أَكثَر، لَا نَدري، لَكنَّه أَتَمَّه سَنةَ (١٩٦١م)[1]، أَي مَا زَالَ فَتِيًّا.

فِي هَذِهِ الحِقبةِ كَانَ فِي أَوجِ نَشَـاطِهِ السَّـياسِيّ، وَانْدِفاعِهِ فِي المَهَامِّ الحِزْبِيَّةِ، إِذ «بِسبَبِ أَفكَارِهِ المَاركسـيَّةِ سُـجِنَ وَفُصِلَ مِـن دَارِ المُعَلِّمِينَ فِي بَعقوبَةَ عِندَمَـا كَانَ طَالبًا فِيهَا لمدَّةِ عَامٍ كَامِل، ثُمَّ أُعيدَ إِلَى المَدرسَـة، وَتَخَرَّج مُعَلِّمًا عَامَ (١٩٥٧م)، لِيعملَ مُعلِّمًا فِي المَدَارسِ الرِّيفيَّة[2].

وَكنـتُ حَاضِـرًا مَـعَ وَالِدي السَّـيِّد سُـليمان، وَعَمِّي السَّـيِّد محمَّـد، وَآخَرينَ، فِي مَضيفِ السَّـيِّد ضَايع السَّـيِّد كريـمﷺ، فِي قَريةِ الحصـين فِي أَحَدِ الأَيَّامِ بُعَيـدَ ثَورةِ ١٤ تَمـوز (١٩٥٨م)، عِندمَـا اقْتَحَـمَ عَليّ الحُسَـينيّ مَضيفَ السَّـيِّد ضَايع مَـعَ مَجموعةٍ مِن الشَّـبَابِ، بِحدُودِ ٢٠ شَـخصًا، جَاءَ بِهِم مِنَ الحِلَّةِ، وَهُم يَهتِفونَ: (سَنمضي سَنمضي إِلَى مَا نُريد، وَطنٌ حُرٌّ وَشَـعبٌ سَـعِيد)، يَعيش يَا يَعيش يَا، وَهتَافَات أُخرَى، كَمظَاهرةٍ هَدَفُها بَثُّ الفِكر المَاركِسِـيِّ فِي القَريةِ الَّتِي تَحكمهَا السُّنَن الشَّرعِيَّة وَالقَواعِدُ العَشائِريَّة العَربيَّة.

هَـذَا الفَتَـى أَلَّفَ كِتَابَه عَن السَّـيِّدِ حَيدَر تَحتَ تَأثـيرِ عَامِلَين، الأَوَّل: شُـعُورُه بِأَنَّه أَصبَحَ مِنَ الأُدبَاءِ الكِبارِ، وَصَارَت الصُّحُف الأَجنَبيَّة تَنشرُ لَه مَقَالَاته، وَالعَامِلُ الثَّانِي: تَشبُّعُه بِالأَفكَارِ المَاركِسِيَّة المَعروفة نَظرَتهَا للدِّينِ وَرِجَالِه، وَالقِيمِ وَالتَّربيةِ الدِّينيَّةِ، لِذَلكَ كَانَ يَذكرُ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّيّ بِاسـمِهِ المُجَرَّد (حَيدَر الحِلِّيّ)، وَهَكذا عِندمَا يَذكر شُـيوخَ الأُسرَةِ مِثلَ: السَّـيد سُـليمان الحِلِّيّ، وَالسَّـيِّد مَرزة الحِلِّيّ، وَالسَّـيد مَهدي الحِلِّيّ، فَيقولُ: (سُلَيمان الحِلِّيّ، وَمرزَة الحِلِّيّ، ومَهدي الحِلِّيّ)، عِلمًا أَنَّ هَؤلاءِ سَادِة أَجِلَّاء، لَـهم مَكانَتهم

(١) حيدر الحِلِّيّ، المقدِّمة: ٥.

(٢) حصن سامة، لمحات من الذاكرة: ٢٧٩.

الاجْتماعيَّة وَالدينيَّة السَّـاميَة، وَهوَ يَعلم هَذا جَيدًا؛ لِأَنَّه هو ابنُ قَريةِ الحصَين، وَبِالنِّسبَة إلى لسَّيدِ سُليمانَ الحِلِّي، فَقَد كَانَ خَطيبًا مُتَمكِّنًا، وَيَحفظُ مِنَ الشِّعرِ وَالتَّأريخِ وَأَيَّامِ العَربِ مَا يَجعلُه مَوسُـوعيًّا، فَضلًا عَن حِفظهِ لِلقرآنِ وَالحَديثِ الشَّـريفِ وَالأحكام الشَّـرعيَّة، ثُـمَّ أَنَّه صَاحِبُ دِيوانٍ مَفتوحٍ لِلقَاصِدينَ إِلَيهِ مِنَ الحصَين وَغَيرِهَا مِنَ المَناطِق المُجاورة، وَالمَناطِقِ البَعيدةِ، فَقَد كَانَ مَرجعًا شَرعيًّا في تِلكَ المَناطِق، أَمَّا سِـنُّهُ فَكانَ أَكبرَ مِن سِـنِّ وَالِدِ السَّـيِّدِ عَليّ الحُسَـينيّ، وَقَـد قَدَّمَ لَهُ كَلَّ عَونٍ في سَـبيلِ إتمَامِ بَحثِـهِ، وَلَم يَبخَل عَلَيه بِشَـيء، وَأَقرَّ السَّـيِّد عليّ الحُسَـيني بِذلِكَ عِندمَا ذَكرَ مَصَادرَ بَحثِهِ المُهِمَّـة الَّتِي حَصَل عَلَيها مِنَ السَّـيِّد سُـليمان الحِـلِّيّ، مِثلَ: مَخطوطَة دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّي بِخطِّ السَّـيِّدِ مَرزة الحِلِّيّ، وَمَجموعَةِ أَشـعَارِ عَبدِ المُطَّلبِ الحِلِّيّ بِخَطِّ السَّـيِّد مَرزة الحِلِّي، وَآل سُـليمان بِخَطِّ السَّيِّد مَرزة الحلِّيّ، وَمَخطُوطَة دِيوانِ السَّيِّد سُليمَان الكَبير، وَكُلُّهَا مَوجُودة في خِزَانَةِ السَّيِّدِ سُلَيمان الحِلِّيّ[1].

لَكِنَّه عِندمَا يَذكرُه، يَسـتَكثِرُ عَلَيه كَلمةَ (السَّـيِّد)، كَما استَكثرَهَا عَلَى السَّيِّدِ حَيدَر نَفسِه.

وَيَتكلَّـم المؤلـفُ السَّـيِّد عـليّ الحُسَـينيّ عَـلَى الأسرَةِ؛ فَيُسـمِّيهَا (آل ياسـين)[2]، وَلَا أَدري مِن أَينَ جَاءَ بِهَذا الإسم؟! وَيعزو كَلَامَه إلى مصدَرٍ يُسمِّيه (آل ياسين مخطوطة لمـرزة الحِـلِّيّ)[3]، وَلَكنَّه في فهـرسِ المَصـادِرِ لاَ وُجودَ لِهـذَا المَصدر، بَل يَذكرُه بِاسـمِهِ الصَّحِيحِ (آل سليمان)[4].

(١) حيدر الحِلِّيّ، المصادر والمراجع: ٢٤٣، تنظر الفقرات: ٢، ٣، ٤، ٦.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ٣٥-٣٦.
(٣) حيدر الحِلِّيّ، هامش الصفحة: ٣٦.
(٤) حيدر الحِلِّيّ، المصادر والمراجع: ٢٤٣، تنظر الفقرات: ٤.

وَيَستَمرُّ السَّيِّد عليّ الحُسَينيّ بِسَردِ مَعلومَاتِهِ عَنِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَالأسرَةِ، وَالمُؤَلَّفَاتِ، وَلَم أَجِد شَيئًا جَديدًا أَو مُهمًّا فِي كَلَامِهِ، وَأَغلَبُهُ كَلامٌ مَنقولٌ عَن المَصادرِ الأُخرَى الَّتِي تَنَاولَت السَّيدَ حَيدَر بِالبَحثِ، لَكنَّ كَلامَ السَّيِّد عَليّ لَا يَخلو مِنَ الغَرَابَةِ فِي بَعضِ الأُمورِ مِنهَا:

قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «حَدَّثَني صَديقٌ لِي أَنَّ هَذِهِ البَسَاتِينَ- بَسَاتِين بِيرمَانَة- أُهدِيَت إِلَيهِ مِن آلِ القَزوينيّ؛ مُسَاعَدةً وَتَكريمًا لَهُ، وَمُقابِلَ قَصَائِدِه الكَثيرةِ فِي مَدحِ رِجَالِ هَذِهِ الأُسرَة»[1].

وَلَا أَدري مِن أَينَ أَتَى بِهذِهِ المَعلومَةِ الَّتِي لَيسَ لَهَا نَصيبٌ مِنَ الصِّحَّةِ جُملةً وَتَفصيلًا، وَلَم يَذكر لَنا اسمَ هَذا الصَّديقِ، لِنَتَتَبَّع هَذه الرِّوَايَةَ؟!

وَيُكرِّرُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ هَذِه الفِريةَ بِطَريقةٍ أُخرَى، فَيقولُ: «وَحَدَّثَني أَحدُ الشُّيوخِ بِأَنَّ آلَ كُبَّة قَد أَهدوه بَعضًا مِن أَملَاكِهِم، حَثًّا عَلَى مَديحِهِم»[2].

لَا نَدري مَن هُو الشَّيخُ الَّذي جَاءَه بِهذَا الخَبَر! يُقالُ: إِنَّ الشَّيطَانَ إِذَا ظَهَرَ لِلإِنسَانِ، يَظهَر أَمَامَه عَلَى هَيأَةِ شَيخٍ كَبيرِ السِّنِّ، فَرُبَّما حَصَلَ لَه مِثلُ هَذا، وَهوَ لَا يَعلَم.

وَيَعمَد السَّيِّد عَليّ الحُسيني إِلَى قَضيَّةٍ يَرويهَا الأُستاذُ عَليّ الخَاقَانيّ رحمه الله، مُستَشهدًا بِهَا عَلَى عُلوِّ مَنزلَةِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَمَكانَتِهِ السَّامِية، وَكَونُه أَبيًّا عَزيزَ النَّفسِ، يَترَفَّعُ عَن أَفعَالِ بَعضِ الشُّعراءِ فِي البَحثِ عَنِ المَكاسِبِ بِشِعرِهِم، فَيُفَكِّكُهَا وَيُحَرِّفُها عَن مَوضوعِهَا، بَل وَيَقلِبهَا لِيَفهَمَ مِنهَا القَارِئُ عَكسَ مَا أَرادَ بِهَا الأُستَاذ عَليّ الخَاقَانيّ، فَيقولُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ:

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٧٢.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ٩٠.

«قَـالَ الخَاقـانيّ:.. إنَّ حَيدَر قَد قَبِلَ هَديةً مِنَ العلَّامةِ المِيرزَا إسـمَاعِيل الشِّـيرازيّ، عِندمَا مَدَحَه بِقَصيدتِهِ الَّتِي مَطْلَعُهَا:

أَيُّ بُـشرَى كَـسَـتِ الـدُّنـيَـا بَهـاءَا
قُـمْ، فَـهَـنِّ الأَرضَ فِـيـهَـا وَالـسَّـمَاءَا

وكانت الهدية ١٠٠ ليرة»[١].

فَنقولُ لَه: عَلَى البَاحِث أَن يَذكرَ رِوايةَ الأسـتاذِ عليّ الخَاقانيّ رحمه الله كَما هِي، وَلَا يَجتَزأ، وَلَا يُغَـيِّر، وَلَا يُبَدِّل، وَلَا يَتَصَـرَّف كَمَا يَحلو لَـه؛ لِكَي يَفهَم القَارِئ حَقِيقةَ الأَمرِ، وَلَيسَ كَما يُريدُ هُوَ، وَمَا كَانَ مِن نَتاجِ خَيالِهِ عَن السَّيِّدِ حَيدَر.

وَمِنَ الضَّروريّ أَن نَذكرَ رِوايةَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقانيّ كَما هِيَ، لِنَرَى مَا أَرادَ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَينيّ.

قَالَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقانيّ: «وَقُصَّةٌ وَاحِدَةٌ تَعطِينَا صُورةً سَـامِيةً عَن مَقَامِهِ الرَّفِيعِ، أُثْبِتُهَـا عَـلَى عُهْـدَةِ العَلَّامَةِ المُعَاصِرِ الشَّـيخ مُحَمَّد عَـليّ الأُوردَبَادِي، فَقَد قَـالَ: حَدَّثَنِي الحُجَّةُ السَّيِّدُ المِيرزَا عَليّ أَغَا نَجلُ الإمَامِ الشِّيرَازِيّ، قَالَ: عِندَمَا هَنَّأَ السَّيِّدُ حَيدَر وَالِدِي بِقَصِيدَتِهِ الهَمْزِيَّةِ، رَأَى أَنْ يُكْرِم الشَّـاعِرَ بِعِشْـرِينَ (لِيرَةً)، فَاسْتَشَـارَ ابـنَ عَمِّهِ العَلَّامَةَ السَّـيِّدَ المِيرزَا إسـمَاعِيلَ الشِّـيرَازِيَّ فِي ذَلِكَ، فَأَبَى، وَقَالَ لِابْنِ عَمِّهِ الإمَام: مَا قَولُكَ فِي دِعْبِـلٍ وَالكُمَيتِ، وَمَنْزِلَتِهِما عِندَ الإمَامِ الصَّادِقِ عليه السلام؟ فَهَل هُمَا أَفْضَلُ أَم السَّـيِّدُ حَيدَر؟ وَهوَ ابنُ رَسـولِ الله؟ فَقَالَ: إنَّهُ لَأَفْضَلُ مِنْهُمَا، قَالَ: إذًا يَجِبُ أَنْ تُكْرِمهُ بِأَقْصَى مَا تَشْعُرُ مِـن أَنوَاعِ التَّكرِيم، فَلَـمْ يَبقَ لِلإمَامِ الشِّـيرَازِيِّ دُونَ أَنْ صَحِبَ مَعَهُ مِئـةَ لِيرَةٍ، وَذَهَبَ لِزِيَارَتِهِ، وَعِندَمَا دَخَلَ عَلَيهِ تَنَاوَلَ يَدَ شَاعِرِنَا؛ فَقَبَّلَهَا بَعدَ امْتِنَاعٍ شَدِيدٍ»[٢].

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٩١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، عليّ الخاقانيّ: ١٨.

وَيُضيفُ الأستاذ الخَاقَانيّ قَائِلًا: «فَهَذِهِ القِصَّةُ لَوْ لَمْ يَكنْ الرُّوَاةُ لَهَا ثِقَاتٍ؛ لَامْتَنَعَ السَّمْعُ مِن قَبولِهَا؛ لِأَنَّ الإِمَامَ الشِّيرَازِيَّ عَرَفَ سِيرَتَهُ القَاصِي وَالدَّانِي، أَنَّ المُلُوكَ وَالسَّلَاطِينَ كَانَتْ تَزُورُهُ وَتَخْضَعُ لَهُ احْتِرَامًا لِمَقَامِهِ الدِّينِي»(١).

وَمِنَ المُفيدِ هنا أَن نَذكرَ مَا قَالَه الدكتور محمَّد مَهدي البَصير عَن تَرفُّعِ السَّيِّد حَيدَر، وَتَصَوُّنِهِ عَن أُمورٍ يَسعَى لَهَا بَعضُ الشُّعرَاء: «إِلَّا أَنَّه مِنَ الحَقِّ أَن نُلَاحِظَ أَنَّه كَانَ عَلَى العُمومِ أَبِيًّا عَزيزَ النَّفسِ، يَلْتَزِمُ التَّصَوُّنَ، وَيُؤثِرُ التَّرَفُّعَ، وَلَكنْ لَئِن كَانَ خَفيفَ الحَال، قَليلَ المَالِ، لَقَد كَانَ عَظِيمَ القَدرِ، وَاسِعَ الجَاه»(٢).

وَقَالَ خَيرُ الدِّينِ الزَّركلي: «تَرفَّعَ بِهِ عَنِ المَدحِ وَالاسْتِجدَاءِ، وَكَانَ مَوْصُوفًا بِالسَّخَاءِ»(٣).

وَقَالَ المُحَقِّقُ وَالمُؤَرِّخُ العَلَّامةُ الشَّيخُ يُوسفُ كَركوش: «وَكَانَ أَبِيًّا، عَزيزَ النَّفسِ، يَلتزمُ الصَّونَ، ويؤثِر التَّرَفُّعَ، ذَا جَاهٍ عَظِيمٍ، لَهُ مَكَانَةٌ سَامِيةٌ فِي الأَوسَاطِ العِلْميَّةِ والأَدَبيَّةِ»(٤).

وَجَاءَ فِي تَرجمَتِهِ بِقَلمِ المُحَقِّقِ الأستَاذِ صَالح الجَعفَريّ: «وَقَد كَانَ السَّيِّد حَيدَر مَعَ قِلَّةِ ذَاتِ يَدِه، يَترَفَّعُ عَمَّا يَتَّصِفُ بِهِ الشَّاعِرُ»(٥).

وَمَن أَرادَ المَزيدَ، فَليرَاجع رَدَّنَا عَلَى أَقوالِ د. فارس عزيز.

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، عليّ الخاقانيّ: ١٨.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤١.
(٣) الأعلام للزركليّ: ٢/ ٢٩٠.
(٤) تأريخ الحِلَّة: ٢/ ١٤٣.
(٥) شرح ديوان السيِّد حيدر، صالح الجعفريّ، المقدِّمة، وديوان السيِّد حيدر، الطبعة الحجريَّة، المقدِّمة: ٥.

وَفاةُ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّي

أَغلَـب المُؤرِّخينَ ذَكروا يَومَ وفَاةِ السَّـيِّد حَيدَر، وَمَا حلَّ فيـه وَمَا قِيلَ فِيه، وَأَكتفِي هُنَـا بِما قَالَـهُ الدكتور البَصيرُ رحمه الله؛ ذَلِكَ لِأَنَّ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَـيني أَخَذَ عَنـهُ، وَعَدَّهُ أَحدَ مَصادِرَ بَحثِهِ، قَالَ الدكتورُ البَصيرُ: «وَشَـاءَت الصُّدَفُ أَنْ تَكونَ وَفَاتُهُ فِي سَـنةِ جَدبٍ، وَأَنْ يَلْطُفَ اللهُ تَعالَى بِعبَادِهِ عَلَى إِثرِ وَفَاتِهِ؛ فَيَسقيهِم الغَيثَ، وَيُحيي الزَّرعَ وَالضَّـرَعَ، فَعدَّ النَّاسُ ذَلكَ كَرامَةً لَهُ، وَإِلَى هَذَا أَشارَ الشَّيخُ مُحَمَّد نُوحٍ بِقَولِهِ فِي مَرثِيَّةٍ لَهُ:

صَـدَّ الـغَـمَامَ فَـسَـادُ الأَرْضِ وانْـقَـشَـعَـتْ
سُـحْـبُ الـقِـطَـارِ وَهَـوْلُ الـشِّـدَّةِ انْفَسَحَا
وَفَـــزَّعَ الـدَّهْـرَ إِمْـسَـاكُ الحَـيَـا وَعَـرَتْ
سُـودُ الـرَّوَائِـعِ حَـيْـثُ المُـتَرَفُ اجْـتَرَحَـا
حَتَّى إِذَا اخْتَرْتَ دَارَ الفَيْضِ مُصْطَفِيًا
مَـثْـوًى بِـهِ جِـبْرِئِـيـلٌ وَجْـهَـهُ مَسَحَا
بَـكَـتْ عَـلَـيْـكَ الـسَّـمَا فَـاخْـضَرَّ مُـنْـغَـمِرًا
رَوْضُ البَسِيطَةِ حَتَّى عَيْشُهَا نَجَحَا»[1]

لَكنَّ السَّيِّدَ عَليّ الحُسَينيّ قَالَ: «فَعدَّ النَّاسُ هَذَا التَّبَدُّلَ مَكرمةً مِن مَكَارِمِه، وَفضلًا عَـن فَضائِلِـه، وَهَذَا يُشـيرُ إِلى جُمودِ الثَّقَافَـةِ العِراقيَّة آنـذَاكَ، وَضُمُورِ التَّفكِـيرِ العِلمِيّ الحَي»[2].

أَقـولُ: هَـذِه مِـن إِفـرَازَاتِ ثَقافَتـهِ الجَديـدةِ المُسـتَقَاةِ مِـنَ الفِكـرِ المَاركِسـيّ، التَّفكـير العِلمِـيّ الحَـي، الَّـذِي يَنكـرُ وُجـودَ كَرامَـاتٍ إِلهيَّـةٍ، وَتَدَخُّـلٍ إِلهـيٍّ فِي أَيِّ

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٥. ديوان حمَّادي نوح: ١/ ٣٢٧.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ٩٨- ٩٩.

مَوضوعٍ عَلَى الأَرضِ، بَل يُنكِرُ وُجودَ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، فَيقولُ: (الدِّينُ أَفيونُ الشُّعُوب).

لِذَلِكَ لَم يَتَطَرَّقِ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ لِقَصيدَةِ الشَّاعِرِ الشَّيخِ حَمادِي نُوحٍ، الَّتِي أَشَارَ فِيهَا إلى هذا المَوضوعِ.

ذَكَرَ جَامعُ الدِّيوانِ السَّيِّد عَبدُ المُطَّلِبِ هَذِه القَضيَّةِ، فَقَالَ: وَاتَّفَقَ أَنْ مَطَرَتِ السَّمَاءُ سَاعَةَ فَرَغنَا مِن دَفْنِهِ، وَاستَمَرَّ المَطرُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فَضَمَّنَهُ أَيضًا الشَّيخُ حَمَّادي نُوح فِي طَرفٍ عَجِيبٍ وَمَعنًى غَريبٍ، وَذَلِكَ حَيثُ قَالَ- ويذكر الأبيات الأربعة السابقة، ويذكر بعدها البيت الخامس- وهو:[1]

فَكُنْتَ نُورًا لَهَا حَيًّا وَمُنْهِلَهَا
مَيْتًا وَكُنْتَ لَهَا فِي الجَدْبِ مُنْتَدَحَا

ديوانُ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ

وَيَذكرُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ دِيوانَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ، فَيَقولُ: «حَدَّثَنَا عَبدُ المُطَّلِبِ الحِلِّيّ، نَاشِرُ دِيوانِهِ الأَوَّل، أَنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَدَيهِ مجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشَاعِرِنَا، وَابنًا لِأَخِيهِ، وَأَنَّه كَانَ يَختلِفُ عِندَه السَّيِّد حَسَن هَادِي الصَّدِر المُتوفَّى عَام (١٣٥٤هـ)، فَوَجَدَه عِندَه، وَكَانَ السَّيِّدُ حَسَن قَد جَمَعَه عِندمَا كَانَ شَاعِرًا يَتردَدُ عَلَى سَامَرَّاءَ لِمَدحِ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ، وَمِنَ الجَديرُ بِالذِّكرِ هُنَا، أَنَّ كُلًّا مِنَ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ وَالسَّيِّدِ الصَّدرِ هُمَا مِن رِجَالِ الدِّينِ المَعروفِينَ فِي تِلكَ الفَترةِ، وَهَكذَا كَانَ رِجالُ الدِّينِ جَميعُهُم يَهتَمُّونَ بِروايةِ شِعرِ حَيدَر وَحِفظِهِ؛ لِأَنَّهُم يَحتاجُونَ إِلَيهِ لِتلَاوتِهِ فِي مَجَالِسِ العَزَاءِ الحُسَينيَّةِ الَّتِي تُقَامُ كُلَّ عَام»[2].

(١) ديوان حمادي نوح: ١/ ٣٢٧.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

لَاحِظ حَجمَ الأَخطَاءِ وَالتَّهَافُتَ فِي هَذَا النَّصِّ:

أَوَّلًا: قَالَ: «حَدَّثنَا عَبدُ المُطَّلِبِ الحِلِّيّ»، وَالسَّيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ ﷺ تُوفِّيَ سَنَةَ (١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م)، وَالسَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ وُلِدَ سَنَةَ (١٩٣٨م)، فَالسَّيِّد عَليّ وُلِدَ بَعدَ وَفَاةِ السَّيِّد عَبدِ المُطَّلِبِ بنِ دَاودَ بـ(١٧) سَنة، فَكيفَ حَدَّثَه؟! فَكَانَ عَلَيه إِن لَم يَسمَع مِنهُ شَفَاهًا، وَقَرأ ذَلكَ في كِتابٍ، أَنْ يُحيلُ عَلَى ذَلكَ المَصدَر؟! لَكِنَّ النَّزعَةَ الشَّبَابِيَّة فِيهِ، الَّتي تُؤزُّهُ أَزًّا لِتَضَعَه بِمَصافِ العُلَمَاءِ وَالشُّعرَاءِ الكِبَارِ، تَجعَلَه يُقَلِّدُ العُلماءَ الكِبارَ، أَمثَالَ العَلَّامَة الدكتور محمَّد مَهدي البَصير، وَيَذكرُهُم بِلَا أَلقَابٍ وَلَا عَناوينَ: عَبدُ المُطَّلِب، حَيدَر، سُلَيمانَ.. الخ، وَيقولُ: حَدَّثَنا عَبدُ المُطَّلِب!!

ثَانيًا: إِنَّ السَّيِّدَ عَبدَ المَطَّلِبِ ﷺ لَم يَنشرِ الدِّيوانَ، فَالَّذِي نَشَرَه غَيرُه، وَهوَ الحَاجُّ الشَّيخُ عَليّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِريّ- عَلَيهِ رِضوَانُ الله تَعَالَى، وَذَلِكَ مُثْبتٌ فِي أَوَّلِ صَحيفةٍ مِنَ النُّسخَةِ الحَجَريَّةِ المَطبوعَةِ سَنةَ (١٣١٢هـ)، في الهند، وفي آخِرِ الخَاتمَةِ مِنهَا، فَلَا يَجوزُ نِسبَةُ نَشرِ الدِّيوَانِ لِغَيرِه، قَالَ تَعَالَى: ﴿.. وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ ..﴾[1]، وَرُبَّمَا تَلَقَّفَ هَذا الوَهمَ مِن أَحدِ المَصَادرِ الَّتِي يَنقلُ عَنهَا بِلَا تَروٍّ، مَع ذَلكَ فَهوَ غَيرُ مَعذورٍ؛ لِأَنَّ نُسخَةَ الدِّيوانِ المَطبوعَةَ فِي الهِندِ كَانَت أَحَدَ المَصَادر لِبَحثِهِ هَذَا، فَعَلَيهِ أَن يَكونَ دَقِيقًا.

ثَالِثًا: وَهنَا الطَّامَّةُ الكُبرَى، إِذ قَالَ: «إِنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَديهِ- أَي السَّيِّد عَبد المُطَّلِب- مَجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلمِيذًا لِشَاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيه».

نَقولُ لِلسَّيِّدِ البَاحِثِ الفَتَى السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ- غَفرَ الله لَه: إِنَّ السَّيِّدَ عَبدَ المُطَّلِب هوَ جَامِعُ دِيوانِ عَمِّهِ السَّيِّدِ حَيدَر، وَهوَ الَّذِي أَعَدَّهُ لِلطَّبعِ، وَسَمَّاهُ (الدُّرُّ اليَتِيم وَالعِقد النَّظِيم)، وَكَتبَ مُقَدِّمةَ الدِّيوانِ، وَقَدَّمَ لِقَصَائِدِ الدِّيوَانِ، وَرَتَّبَهَا فِي أَبوَابٍ،

(١) سورة الأعراف: ٨٥.

وَكَتَبَ الخَاتِمَةَ، وَكُلُّ الَّذِي تَركَهُ السَّـيِّد حَيدَر رحمه الله قَصَائِـدَ مَكتوبَةً عَلَى أَورَاقٍ، مَحفوظَةً فِي أَسـفَاطٍ[1]. فَكَيفَ يَكونُ مجهولاً لَدَيهِ يَا سَـيِّد عَلِّي؟! وَمَا مَعنَى هَـذَا التَّأكِيدِ: «عِلمًا بِأَنَّه كَانَ تِلمِيذًا لِشَـاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيه»، أَتُرِيدُ أَنْ تقولَ: إِنَّ الدِّيوانَ لَا قِيمَةَ لَه، إِلَى دَرجَة أَنَّ تِلميذَهُ وَابنَ أَخيهِ يَجهَلُه، وَلَا يَعرفُ عَنهُ شَيئًا؟!.

نَعودُ لِلكِتابِ المَطبوعِ فِي الهِندِ، فَفِي الصَّحيفَةِ الأُولَى، بَعدَ ذِكرِ اسـمِ الدِّيوَانِ (الدُّر اليَتيم وَالعِقْد النَّظِيم)، وَاسمِ المُؤَلِّف السَّيِّد حَيدَر، يَقُولُ: «لَـمَّا كَانَ هَذَا الدِّيوَانِ مَرغوبًا عِندَ أُولِي الأَبصَارِ، وَمحبوبًا عِندَ أُولِي الألبَابِ، كُنتُ أَحْبَبتُ فِي تَكثيرِهِ وَتَوفِيرِه وانْتِشَـارِ نُسَخِهِ، إِلَى أَنْ وَفَّقَنِي الله تَعَالَى لِطَبعِهِ بَعدَ تَصحِيحِه، حَسَبَ مَا تَيَسَّرَ لِي، وَأَنَا العَبدُ المُفتَقِر إِلَى الله الوَفِيّ المُملي، أَقَلّ أَبنَاءِ العُلماءِ، الحَاجُّ الشَّيخُ عَلِيّ المَحلَّاتِيّ الحَائِرِيّ»[2].

وَفِي الصَّحيفَةِ الثَّانِيَة، قَالَ بَعدَ ذِكرِ اسـمِ الدِّيوانِ، وَاسمِ المُؤَلِّفِ: «بِسمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحِيـمِ، الحَمدُ لله الَّذِي جَمعَ.. إِلَى أَنْ قَالَ: أَمَّـا بَعدُ، فَيَقُولُ الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ الغَنيّ عَبدُ المُطَّلـبِ بنُ دَاودَ الحُسَـينيّ الحِـلِّيّ: إِنَّهُ لَـمَّا ذَهبَ طَـارِقُ القَدرِ؛ بِغُرَّةِ جَبـينِ هَذَا الدَّهرِ؛ عَمِّنَـا وَوَالِدِنَا السَّـيِّدِ حَيدَرٍ عليه السلام، وَرَاوَحهُ غَيثُ اللُّطْفِ بِشَـآبِيبِ عَفـوِ الله وَغَادَاهُ، وَلَهُ مِنَ القَصَائِدِ وَالمَقَاطِيعِ وَالمُكَاتَبَاتِ فَرَائِدٌ تَتَحَلَّى بِحُسـنِهَا نُحورُ الخَرَائِدِ.. حتى قال رحمه الله.. فَأَحَبَـتُ أَنْ أُؤَلِّـفَ بَينَ شَـوَارِدَهَا، وَأَجمعَ بَينَ بَدَائِدِهَـا، بِكِتَابٍ تَسْـتَأنِسُ بِرَائِقِ تَرتِيبِهِ النُّفُوس، وَتَتَحَلَّى بِحُسـنِ طِرزِهِ خُدُودُ الطُّرُوس، وَأُصَدِّرُهُ فِي مُقَدَّمَةٍ أَذكرُ فِيهَا شَيئًا مِنْ نَسَـبِهِ، وَلَوَامعًا مِنْ أَدَبِـهِ.. إلى أن قال.. وَقَد وَافَقَ حُبِّي لِذَلكَ إِلتِـمَاسَ الكَامِلِ الأَديبِ الفَاضِلِ الأَرِيب، بَدرِ العِلمِ وَذُكَاءِ الفَهمِ، غُرَّةِ وَجهِ الزَّمَنِ، جَنَابِ السَّـيِّدِ حَسَـن نَجلِ العَالِمِ.. السَّيدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ، عَامَلَهُ اللهُ بِلُطفِهِ الخَفِيِّ وَالجَلِيِّ، وَأَنْ يَكونَ هَذَا

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة بومباي، المقدِّمة: ٢-٤.

(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة بومباي، المقدِّمة: ١.

الجَمعُ لَهُ، إذ هُوَ بَعضُ الأَسبَابِ الدَّاعِيةِ إِلَى جَمعِهِ، وَفَّقَهُ الله لِـمَا يُحِبُّهُ وَيَرضَاهُ، وَأَسعَدَهُ فِي دُنيَاهُ وَأُخرَاهُ، فَأَجَبتُهُ إِلَى ذَلكَ مُسَارَعةً إِلَى العَملِ الوَاجِبِ، إذ كَانَ مَا أَمرَ بِهِ مِنَ الضَّربِ اللَّازِبِ، حتَّى قال.. وَقَد سَمَّيْتُهُ (الدُّرُّ اليَتِيمُ وَالعِقْدُ النَّظِيمُ).

ثُـمَّ فِي خَاتمةِ الدِّيوانِ، قَالَ السَّـيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ: «وَهَذَا آخِرُ مَـا أَوْرَدْنَاهُ مِنْ جَمِيعِ نَظْمِهِ وَنَثْرِهِ، بَعْدَ المُبَالَغَةِ التَّامَّةِ فِي الطَّلَبِ لِـمَا نَظَمَ وَنَثَرَ مِنْ ابْتِدَاءِ شَـبَابِهِ إِلَى نِهَايَةِ عُمْرِهِ، فَلَمْ نَجِدْ مِنْهُ إِلَّا مَا قَدْ ذَكَرْنَاهُ بِهَذَا الكِتَابِ، وَفَّقَنَا اللهُ تَعَالَى إِلَى العَمَلِ بِأَفْضَلِ الطَّاعَاتِ، وَأَحْسَنِ القَوْلِ بِالصَّوَابِ، عَلَى أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ مِنْهُ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَالرَّسَائِلِ مَا لَوْ حُفِظَ؛ لَكَانَ حُلْيَةً لِجِيدِ هَذَا الزَّمَنِ العَاطِلِ.. الخ[1].

فَإِذًا السَّيِّد عَبد المُطَّلِبِ هُوَ الَّذي جَمعَ الدِّيوانَ، وَكتبَ المُقدِّمةَ، وَأَعَدَّهُ لِلطَّبعِ حَسَبَ رَغْبةِ السَّيِّدِ حَسَن نَجلِ السَّيدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ، وَطَلَبِهِ، وَهَذا مَا أَثبَتَه السَّيدُ عَبدُ المُطَّلِبِ فِي مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ، كَما شَاهَدنَا.

عَلَى أَنَّ عَمليةَ جَمع الدِّيوانِ لَم تَقتَصِر عَلَى السَّـيدِ عَبدِ المُطَّلِبِ وَحدَه، فَقَد اهْتَمَّ غَيرُهُ بِذَلِـكَ أَيضًا، قَالَ الأسـتاذ عَليّ الخَاقَانِيّ نَـاشِرُ دِيوَانِه: «وَدِيوَانُ السَّـيِّدِ حَيدَرٍ عَلَى قُربِ عَهدِنَـا مِنـهُ، كَادَتْ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيهِ يَدُ النِّسـيَانِ، لَـو لَمْ يُهيِئ اللهُ نَفَرًا يَرعَـى ذِمَّةَ الأَدَبِ وَالتَّدوِينِ، سَجَّلَ مَا وَصَلَ إِلَيهِ مِن شِعرِ صَاحِبِ الدِّيوَانِ، فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ جَمعَ بَعضَ مَا قَالَهُ وَأَهدَاهُ إِلَى صَديقِهِ الحَاجِّ مُحَمَّدٍ حَسَـنٍ كُبَّه، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُمَثِّلْ كُلَّ مَا قَالَهُ مِنَ الشِّـعرِ، مِـمَّا حَفَّزَ هَذَا النَّفَرَ أَنْ يَتَتَبَّعوا شِـعرَهُ، وَمِنهُم ابنُ عَمِّهِ الشَّاعِرُ الشَّهِيرُ السَّيِّد مِيرزا الحِلِّيّ، فَقَد جَمعَ مَا اسْـتَطَاعَ أَنْ يَجمَعَ، وَتَبِعَهُ فَرِيقٌ مِنَ المُولَعِينَ فِي الجَمعِ وَالتَّدوِينِ، سَـجَّلوا فِي المَجَامِيعِ المَخْطُوطَةِ بَعضَ مَا وَصَلَ إِلَيهِم أَيضًا»[2].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الهند: ٤٧٨.

(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.

ثمَّ يقع الأستاذ عليّ الخاقاني رحمه الله في وهم شنيع، بقوله: «يُحَدِّثُنَا الشَّاعِرُ السَّيدُ عَبدُ المُطَّلِبِ الحِلِيِّ فِي مُقَدَّمَتِهِ لِلطَّبعَتَينِ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ اللَّتَينِ طُبِعتَا فِي (بُومبَيْ) الهِندِ، أَنَّ الدِّيوَانَ بِقَيَ مَجهولًا لَدَيهِ، غَيْرَ أَنَّهُ خِلَالَ تَردُّدِهِ عَلَى (سَامَرَّاءَ)، عَثَرَ عَلَيهِ عِندَ العَلَّامَةِ الكَبِيرِ السَّيدِ حَسَن الصَّدرِ المتوفَّى (١٣٥٤هـ)[1]، فَقَدْ جَمَعَهُ يَومَ أَن كَانَ يَختَلِفُ صَاحِبُ الدِّيوَانِ عَلَى سَامَرَّاءَ[2]، وَبِذَلِكَ كَانَ خَيرَ عَونٍ عَلَى إِحيَائِهِ خِلَالَ الزَّمَنِ الَّذِي مَضَى،

(١) هَذَا وَهمٌ مِنَ الأُستَاذِ الخَاقَانِيّ- سَامحَهُ اللهُ تَعَالَى وَغَفَرَ لَهُ، فَالَّذِي قَالَ هَذَا الكَلَامَ هُوَ نَاشِرِ الدِّيوَانِ الشَّيخُ عَلِيّ الحَائِرِيّ المَحَلَّاتِيّ، قَالَ: «لَمَّا كَانَ هَذَا الدِّيوَانُ جوهَرًا فَردًا، وَدُرَّةً يَتِيمَةً لَا يُعَادِلُهُ لِعُلوِّ شَأنِهِ ثَمَنٌ وَلَا قِيمَةٌ، وَمَحبوبًا لِلْقُلُوبِ وَمَرغُوبًا لِلطِبَاعِ، وَكَانَ كَالعَنْقَا اسْمُهُ مَذكُورٌ وَمَرقُومٌ، وَكِتَابُهُ غَيرُ مَعلُومٍ، وَلَا أَدرِي فِي أَينِ وَمِنْ أَينٍ، إِلَى أَنْ تَشَرَّفْتُ فِي سَامَرَّا، فَوَجَدتُهُ عِندَ بَدرِ العِلمِ وَذَكَاءِ الفَهمِ، غُرَّةِ وَجهِ الزَّمَنِ، جَنَابِ السَّيِّدِ حَسَنٍ، نَجلِ العَلَّامَةِ الفَهَّامَةِ السَّيِّدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ- دَامَ فَضلُهُ وَعُمرُهُ، فَأَمَرتُ بِطَبعِهِ وَانتِشَارِ نُسَخِهِ، امْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، فَأَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَكونَ سَعْيِي هَذَا ذَخِيرةً لِلمَعَادِ، وَمَؤُونَةً لِيَومِ التَّنَادِ، وَاللهُ تَعَالَى عِندَ ظُنُونِ عِبَادِهِ، وَهوَ المُوفِّقُ لِسَبِيلِ رَشَادِهِ. وَأَنَا العَبدُ المُفْتَقِرُ إِلَى اللهِ الغَنِيُّ الوَفِيُّ المَلِيُّ، أَقَلُّ أَبنَاءِ العُلَماءِ الرَّاشِدِينَ الحَاجُّ شَيخُ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيُّ، مَاه رَبيع الأَوَّل سَنَةَ (١٣١٢هـ)». تنظر طبعة بومبي: ٤٧٩. أَمَّا السَّيِّدُ عَبدُ المُطَّلِبِ، فَقَد قَالَ عَنْ عَمَلِهِ فِي جَمعِ الدِّيوَانِ: «فَأَحبَبتُ أَنْ أُؤَلِّفَ بَينَ شَوَارِدِهَا، وَأَجمعَ بَينَ بَدَائِدِهَا، بِكِتَابٍ تَستَأنِسُ بِرَائِقِ تَرتِيبِهِ النُّفُوس، وَتَتَحَلَّى بِحُسنِ طِرزِهِ خُدُودُ الطُّروس، وَأُصَدِّرُهُ فِي مُقَدَّمَةٍ أَذكُرُ فِيهَا شَيئًا مِنْ نَسَبِهِ، وَلَوَامعًا مِنْ أَدَبِهِ..الخ»، حتَّى قَالَ: «وَقَد وَافَقَ حُبِّي لِذَلِكَ إِلتِمَاسَ الكَامِلِ الأَدِيبِ الفَاضِلِ جَنَابِ السَّيِّدِ حَسَن نَجلِ العَالِمِ العَامِلِ السَّيدِ هَادِي صَدرِ الدِّينِ العَامِلِيِّ، وَأَنْ يَكونَ هَذَا الجَمعُ لَهُ إِذ هُوَ بَعضُ الأَسبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى جَمعِهِ، وَفَّقَهُ اللهُ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرضَاهُ»، قَولُهُ: وَأَنْ يَكونَ هَذَا الجَمعُ لَهُ، أَي لِيَتَصَرَّفَ بِالدِّيوَانِ بَعدَ جَمعِهِ فِي مَوضُوعِ طِبَاعَتِهِ، وَفِعلًا كَلَّفَ السَّيدُ حَسَن- عَلَيهِ رِضوَانُ اللهِ، الحَاجَّ الشَّيخَ عَلِيًّا المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيّ بِتَحَمُّلِ نَفَقَةِ طَبعِهِ فِي الهِندِ، فَقَامَ الأَخِيرِ بِذَلِكَ بِكُلِّ رَغبَةٍ وَمَمنُونِيَّةٍ. تنظر: مقدِّمة السيِّد عبد المطَّلب لطبعة بومبي.

(٢) انْحَصَرَ عَملُ السَّيدِ حَسَن ابنِ السَّيدِ هَادِي العَامِلِيِّ رحمه الله فِي تَشجِيعِ السَّيدِ عَبدِ المُطَّلِبِ رحمه الله، وَحَثِّهِ عَلَى جَمعِ الدِّيوَانِ، وَبَعدَ اكْتِمَالِ جَمعِهِ وَكِتَابَةِ مُقَدَّمَتِهِ، أَرسَلَ عَلَى الحَاجِّ الشَّيخِ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِيّ الحَائِرِيِّ، وَكَلَّفَهُ بِتَحَمُّلِ نَفَقَاتِ طَبعِ الدِّيوَانِ فِي الهِندِ. تنظر: مقدِّمة عبد المطَّلب، ومدوَّنة الحَاجِّ الشَّيخِ عَلِيٍّ المَحَلَّاتِي الحَائِرِيِّ في: ٤٧٩ من الديوان، طبعة بومبي.

وَبَعـدَ النَّظَـرِ مِن السَّـيدِ عَبدِ المُطَّلَـبِ، وَالتِمَاسِ السَّـيدِ الصَّدرِ، تَوَلَّى نَشرَهُ الشَّـيخُ عَليٌّ المَحلَّاتيّ مَرَتَينِ عَلَى الحَجَرِ»[1].

وَيَتَلَقَّفُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ (غفر الله له) هَذا الوَهمَ الكَبيرَ مِنَ الأستَاذِ الخَاقانيّ، دونَ أَن يُكَلِّفَ نَفسَـه عَنَاءَ الاطِّلَاعِ عَلَى مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ، طَبعة بُومبَي؛ لِيكتَشِـفَ الوَهمَ وَيُصَحِّحَهُ، فَيُسَجَّل ذَلِكَ لَهُ.

قَالَ السَّيد عَليّ الحُسَينيّ: «وَإِنَّه كَانَ يَختلِفُ عِندَه السَّيِّد حَسَن هَادِي الصَّدر المُتَوَفَّى عَامَ (١٣٥٤هـ)، فَوَجَدَه عِندَه»[2]، وَهُنَا يَتَخَبَّطُ السَّـيِّد عَلـيّ فَيزيدُ الطِّينَ بِلَّة، إِذ جَعَلَ السَّـيِّدَ صَـدرَ الدِّينِ يَختَلِـفُ (أَي يَتَردَّد) عِندَ السَّـيِّد عَبدِ المُطَّلِبِ، وَالحَقِيقَـة كَما قُلنَا أَنَّ الشَّـيخَ المَحلَّاتي عِندمَا تَشَـرَّف بِزِيَارَةِ سَـامَرَّاءَ، وَزَارَ السَّيدَ حَسَـن الصَّدِر العَامِلِيّ، وَجَدَ الدِّيوانَ عِندَه.

وَتَلعَـبُ الأَخطَـاءُ لِعبَتَهـا فِي زِيَادَةِ مَـرَارَة النَّصِّ، إِذ يَقولُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ: «وَكَانَ السَّـيِّد حَسَـن قَد جَمعَـه عِندمَا كَانَ شَـاعِرًا يَـتَرَدَّد عَلَى سَـامَرَّاءَ لِـمَـدحِ الإِمَامِ الشِّيرَازِيّ»[3].

أَخَذَ السَّـيِّد عَليّ هَذه العِبارةَ مِنَ الأسـتَاذِ عليّ الخَاقَانيّ، وَلَكِن زَادَ مِن شِدَّةِ مَرَارَتِهَا بِقَولِهِ: عِندمَا كَانَ شَاعِرًا؟! وَنَسأَلُهُ ثُمَّ مَاذَا أَصبَحَ بَعدَ أَن كَانَ شَاعِرًا؟!

وَقَد قَالَ السَّـيِّد عَليّ قَبلَ هَذا: «إِنَّ الدِّيوانَ كَانَ لَدَيـه مَجهولًا، عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشَـاعِرِنَا وَابنًا لِأَخِيه»، فَالقِسـمُ الأَوَّلُ مِن هَذِه العِبارةِ تَلَقَّفَهَا مِنَ الأسـتَاذِ الخَاقَانِيّ[4]،

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، طبعة الخاقانيّ: ١/ ٢٤.

وَبدلًا مِن أَن يُصَحِّحُها كَباحِثٍ يُحاوِلُ كِتابَةَ بَحثٍ رَصينٍ، يَعمَلُ العَكسَ، فَيُضيفُ العِبارةَ الثَّانيةَ مِنه: «عِلمًا بِأَنَّهُ كَانَ تِلميذًا لِشاعِرنَا، وَابنًا لِأَخِيهِ»، بِهذِه العِبَارَةِ يُرِيدُ تَرسِيخَ الوَهمِ وَجَعلَهُ حَقيقةً مِن جِهةٍ، وَالتَّقلِيلَ مِن شَأنِ الدِّيوانِ مِن جِهةٍ أُخرَى، ذَلِكَ أَنَّ تِلميذَ السَّيِّد حَيدَر وَابنَ أَخيهِ يَجهَل الدِّيوَانَ، فَأَيُّ قِيمَةٍ بَقِيَت لَهُ؟!

وَآخِرُ هَذِه الأَخطَاءِ الشَّنِيعَة فِي مَوضوعِ دِيوانِ السَّيِّدِ حَيدَر وَجَمعِهِ وَنَشرِه، قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَمِنَ الجَديرِ بِالذِّكرِ هُنَا، أَنَّ كُلًّا مِنَ الإِمَامِ الشِّيرازيّ وَالسَّيِّد الصَّدرِ هُمَا مِن رِجالِ الدِّينِ المَعروفِينَ فِي تِلكَ الفَترَة، وَهَكَذَا كَانَ رِجالُ الدِّينِ جَميعُهم يَهتَمُّونَ بِروايةِ شِعرِ حَيدَر وَحِفظِه؛ لِأَنَّهم يَحتَاجونَ إِلَيهِ لِتلَاوتِهِ فِي مَجالِسِ العَزَاءِ الحُسَينيَّة الَّتِي تُقَامُ كُلَّ عَامٍ»[1].

هَذِه العِبارةُ تَنُمُّ عَن جَهلٍ شَديدٍ بِالحَوزةِ العِلميَّةِ وَتَركيبتِهَا، وَأَنَّى لَه يَتقُنُ ذَلكَ، وَهوَ رَجلٌ بَعيدٌ عَنهَا كُلَّ البُعدِ، فَهوَ المَاركِسيّ الأَفكَار، فَالسَّيِّد محمَّد حَسَن الشِّيرَازيّ، (المُجَدِّدُ الشِّيرازيّ قدس سره) هُوَ المَرجعُ الأَعلَى لِكُلِّ المُسلِمِينَ مِن أَتبَاعِ أَهلِ البَيتِ فِي العِرَاقِ وَالعَالَم، وَرَئيسُ الحَوزةِ العِلميَّةِ الَّتِي نَقَلهَا مِنَ النَّجَفِ الأَشرفِ إِلَى سَامرَّاءَ المُقَدَّسَة، وَالعَلَّامَةُ السَّيِّد حَسَن صَدرُ الدِّينِ العَامليّ مِن أَساتِذةِ الحَوزَةِ الكِبارِ، فَهؤلَاءِ لَا يُقَالُ عَنهُم رِجَالُ دِينٍ هَكَذَا، ثُمَّ هُم لَيسوا مِن خُطبَاءِ المَنابِرِ الحُسَينيَّة لِكي يَكونوا بِحَاجَة إِلَى شِعرِ السَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيّ لِيقرَؤُوهُ عَلَى المَنابِر، فَالخَلطُ عِندَ السَّيِّدِ عَليّ وَاضِحٌ جِدًّا، لَكِنَّهمَا يَتَذَوَّقانِ شِعرَ السَّيِّدِ حَيدَر، وَيَشتَاقَانِ إِلى سَمَاعِهِ كُلَّ حِين، وَهُما لَعمري الأَجدَرُ بِهذَا مِن غَيرِهِمَا.

وَعَن الدِّيوانِ قَالَ: «أَمَّا نَحنُ فِي دِرَاسَتِنا هَذِه، فَقَد تَوَفَّرت لَدَينَا عُدَّةُ مَصادِر، قَابلَنا بَينهَا، وَرَاجَعناهَا بِأَمَانَةٍ، وَدِقَّةٍ، وَتَأَنٍّ»[2].

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

وَلَا أَظـنُّ أَنَّ هَذَا صَحِيح؛ لِأَنَّهُ لَو قَد تَمَّ مَا قَالَ؛ لَـمَا وَقعَ فِي هَذَا الكَم مِنَ الأَخطَاءِ الَّتِي مَرَّت بِنَا، فِيمَا يَتَعَلَّق بِدِيوانِهِ فَقَط.

وَيُعَدِّدُ البَاحِثُ نُسـخَ الدِّيوانِ الَّتِـي اعتَمدَهَا، فَيخلطُ بَـينَ المَخطوطَةِ وَالمَطبوعَةِ، بِدونِ فَصلٍ بَينهُما، وَهذَا مُخالِفٌ لِلطُّرقِ العِلميَّة فِي الدِّرَاسَةِ.

وَعِندمَـا يَذكرُ النُّسـخَةَ (الدرُّ اليتيم، ط الهنـد)، يَعودُ لِخَطَئِـهِ الأَوَّلِ، فَيقولُ: «قَامَ بِطَبعِـهِ عَبدُ المُطَّلَـبِ الحِلِّيّ»[1]. وَيقولُ أَيضًـا: «وَبِالرَّغمِ مِمَّا لَازَمَ طَبعَ هَذِه النُّسـخَةِ مِنَ الدِّيوانِ، مِن تَحريفٍ وَتَشـويهٍ وَإِضَافَةٍ.. الخ»[2]، وَهُنَا نَقولُ لِلسَّـيِّدِ عَليّ الحُسَينيّ: إِنَّ الطَّبعَةَ فِيهَا (تحريف، وتشـويه) نَاتِجٌ عَنِ الأَخطَاءِ المَطبَعِيَّةِ، وَعَدم التَّدقِيقِ العِلميّ قَبلَ الطَّبعِ، وَلَكنَّهَا خَالِيةٌ مِنَ الإِضَافَة، وَالطَّبعةُ مَوجودةٌ، وَيَستطيعُ أَيُّ بَاحِثٍ أَن يَستَخرجَ لَنَا الإِضَافَاتِ إِنْ وِجِدَتْ.

وَأَخيرًا أَقولُ: لَو أَنَّ السَّـيِّدَ عَليّ الحُسَـينيّ رَجـعَ إِلَى البَابليَّاتِ وَاطَّلَـع عَلى مَا كَتبَه العَلَّامـةُ الشَّـيخُ اليَعقوبيّ فِي هَذَا المَوضـوعِ، وَكَانَ مِنَ الوَاجبِ عَليـهِ أَنْ يَرجِعَ وَيَطَّلِعَ، لِيَلُمَّ بِكُلِّ جَوَانِبِ المَوضوعِ، وَلَا سِـيَّما هوَ يَقولُ: «وَرَاجَعناهَـا بِأَمَانَةٍ، وَدِقَّةٍ، وَتَأَنٍّ»[3]، وَلَو فَعلَ؛ لَـمَا وَقعَ فِي هَذِه الأَخطَاءِ الشَّنِيعَةِ.

قَالَ العَلَّامةُ الشَّـيخُ اليَعقُوبيّ: «لَم يَكُنْ الدِّيـوانُ مَجموعًا فِي حَيَاةِ النَّاظِمِ، وَإِنَّمَا جَمَعَه ابنُ أَخِيهِ السَّـيِّد عَبدُ المُطَّلِبِ، بِاقْتِرَاحٍ مِنَ الحُجَّةِ السَّـيِّدِ حَسَن الصَّدرِ، وَأَهدَاه إِلَيهِ، كَمَا قَالَ فِي مُقَدَّمَتِهِ.. الخ»[4]

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٥.

(٢) حيـدر الحِلِّـيّ: ١٠٥. اقتبـس السـيِّد عليّ الحسـينيّ هذه العبارة مـن مقدِّمة الأسـتاذ عليّ الخاقانـيّ. ينظر: ديوان السـيِّد حيـدر الحِلِّيّ، الخاقانيّ: ٢٤، لكنَّ الأسـتاذ الخاقـانيّ لم يقل فيه إِضافة، فهذه من عنديَّات السيِّد عليّ الحسينيّ.

(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٤.

(٤) البابليَّات: ٢/ ٢٣٨.

العَلاقَة بَينَ السَّيِّد حَيدَر وَالشَّريف الرَّضيّ

تَطَرَّقَ الدكتور محمَّد مَهدي البَصير رحمه الله في مَعرضِ حَديثِه عَن الأَسبَابِ الَّتِي مَكَّنَت السَّيِّدَ حَيدَر مِن أَن يَبلُغَ شَأوًا بَعيدًا فِي الرِّثَاءِ- بحَسَبِ ظَنِّهِ- لِنَوعَينِ مِن الأَسبابِ: نَفسِيَّةٍ وَثَقَافِيَّةٍ، فَقَالَ: «فَأَمَّا الثَّقافيَّة، فَهيَ صِلَتُهُ القَويَّة بِالشَّريفِ الرَّضِيّ، وَصِلتُهُ القَويَّةُ كَذلِكَ بِتلمِيذِهِ مِهيَار، وَاطِّلاعُه لَيسَ فَقَط عَلَى مَراثِيهِما الكَثيرةِ، الحَافلَةِ بِأَحَدِّ المَشاعِرِ وَالعَواطِفِ، وَأَصدَقِ الأَحَاسِيسِ، وَالانْفِعَالَاتِ، بَل عَلَى كُلِّ مَا خَلَّفَا مِن مَنظُومِ الكَلَامِ، فَمَا أَظُنُّ أَنَّ لِلرَّضِيِّ أَو لِتلمِيذِهِ مِهيَارَ بَيتًا وَاحدًا لَم يَقرأْهُ حَيدَر، وَلَم يَفهَمهُ فَهمًا كُلِّيًّا»[1].

أَخَذَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، كَلَامَ الدكتور البصير، فَغَيَّرَ وَبَدَّلَ وَصَبَّ فِيهِ أَفكَارَهُ فِي نَصٍّ جَديدٍ، فَقَالَ: «وَلَقَد نَشَأت صِلَةٌ ثَقَافِيَّةٌ بَينَ حَيدَر وَبَينَ الشَّريفِ الرَّضيّ، وَهَذِهِ الصِّلَةُ نَاشِئَةٌ عَن تَشَيُّعِ الاثْنينِ، وَانْغِمارِهِمَا فِي الدِّفَاعِ عَن مَبَادِئِ وَمَفَاهِيمِ طَائِفَةِ الشِّيعَةِ، وَبِعِبَارَةٍ أُخرَى مُوجَزةٍ، فَإِنَّ هَذِهِ الصِّلَةَ نَاشِئَةٌ عَن تَشَيُّعِهِما»[2].

مَا هَذا الكَلامُ الَّذي يَرفضُهُ العَقلُ وَالمَنطقُ ؟ فَهَل نَحنُ فِي صِراعٍ طَائِفيٍّ؟! أَم فِي مَعركةٍ مَذهَبيَّة ؟! وَهَل أَنَّ السَّيِّدَ حَيدَر وَالشَّريفَ الرَّضِيّ هُمَا الشَّاعِرانِ الشِّيعِيَّانِ الوَحيدَانِ مِن بَينِ كُلِّ الشُّعرَاءِ، لِكَي تَقومُ بَينهُما هَذه العَلاقَةُ الطَّائفيَّة المَزعومَة؟! وَهَل تَلَمَّسَ البَاحِثُ عَلاقةَ الوُدِّ، وَالصَّدَاقَةَ الصَّادِقَة بَينَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ وَالشَّاعر عَبدِ البَاقي العُمَريّ المُعَاصِر لَهُ؟! وَهَل اطَّلَعَ عَلَى القَصائِدِ الَّتِي مَدَح بِهَا السَّيِّد حَيدَر شَخصِيَّاتٍ وَأُدبَاءَ وَعُلماءَ مِنَ المَذَاهِبِ الأُخرَى، دُونَ الأَخذِ بالحُسبَانِ مَذَاهِبَهم المُخَالِفَة لِمَذهَبِ أَهلِ البَيتِ؟! لَقَد كَانَ ذَلِكَ العَصرُ عَصرَ تَسَامُحٍ وَتَفاهُمٍ، وَكَانَت الحِلَّةُ خَاصَّةً، مُنذُ تَأسِيسِهَا، مَوطنًا لِمُختَلَفِ المَذَاهِبِ وَالأَديَانِ.

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٥٩-٦٠.

(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٥.

وَمِن حَقِّنا أَن نَسـأَلَ السَّيِّدَ عَليّ الحسيني عَن مَذهَبِهِ، هَلْ هُوَ مِنْ مَذهَبٍ أَضَرَّت بِهِ هَذِهِ العَلَاقَةُ الشِّـيعِيَّةُ- كَمَا يَدَّعِي- بَينَ السَّـيِّدِ حَيدَر وَالشَّـريفِ الرَّضِي؟! وَلِـمَ لَمْ يَأخذْ بِقَولِ الأسـتاذ صَالِح الجَعفَريّ، وَهوَ الَّذِي مَدحَه، وَأَثنَى عَلَيهِ بِقَولِهِ: «شَاعِرٌ أَديبٌ نَابِهٌ مَعروفٌ»[1]، وَقَالَ أَيضًا «تَوَفَّرَ الأسـتاذ الجَعفَريّ عَلَى دِراسَـةِ الشِّعرِ دِراسةً دَقِيقَة»[2]، لَقَد قَالَ الأسـتاذ صَالِح الجَعفَريّ عَنِ السَّـيدِ حَيدَر: «ضَربَ لنَا مِنَ الأمثَالِ الشَّـارِدة، وَسَـجَّلَ لنَا مِنَ القَصائِدِ الخَالِدَة، وَالحَقُّ أَنَّه أَنسَى أَبَا تَمَّامٍ وَالتُّهَامِي، وَالشَّـريفَ الرَّضي، وَمِهيَارَ الدَّيلَمِي، وَغَيرَهُم»[3]

السَّـيِّد عَلي الحُسَـيني يُريدُ مِنَ السَّـيدِ حَيدَر أَنْ يَثورَ عَلَى مَدرسَـةِ الشِّـعرِ وَتُرَاثِهِ، وَيكتُبُ (الشِّـعرَ الحُر)، أَو (الشِّـعرَ الحَديث)، فَيقول: «السَّـيِّد حَيـدَر يُعلِنُ عَجزَه عَنِ الثَّورَةِ ضِدَ القِيمِ الشِّـعريَّةِ المُتَرسِّـبَة عِندَ عَصرِهِ مِن خِلَالِ القُرونِ، وَهوَ بِهذَا يَأخذُ عَلَى نَفسِهِ عَهدًا بِأَن لَا يُخالِفَ هَذِهِ القِيَم، وَلَا يَعتَرِضُ سَبيلَهَا، وَأَنْ يُطَبِّقَ مَفَاهِيمَهَا فِي نَتَاجِهِ الشِّـعريّ، وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَثَقَافَتُه ثَقَافَةٌ قَدِيمَةٌ، وَمَفهومُهُ عَنِ الشِّـعرِ مَفهومٌ قَدِيمٌ، وَهوَ لَا يُرِيدُ أَن يَخرجَ مِن هَذَا المَفهوم، وَيَبتَدِعَ مَفهومًا جَديدًا لِلشِّعرِ، إِنَّما حَسبُهُ أَن يُجِيدَ التَّزويقَ، وَأَن يُجِيدَ هَذَا التَّلاعُبَ بِالأَلفَاظِ»[4].

أَقـولُ لِلسَّـيِّدِ عَلي الحُسَـيني: إِنَّ هَذَا الـكَلَامَ لَا يَرتَقي إِلَى المُسـتَوى الَّذِي يُوجِبُ الرَّدَّ عَلَيهِ اطْلَاقًا، وَلَو اطَّلَعَ صَاحِبُ هَذَا الكَلَامِ الهَابِطِ عَلَى مَا قَالَهُ الأَسَـاتِذةُ الكِبارُ فِي السَّيِّدِ حَيدَر وَشِعرِهِ؛ لَنَأى بِنَفسِهِ عَن هَذَا كُلِّه، فَهذَا قَولُ الأستاذ صَالِح الجَعفَريّ الَّذي يَعتَرِفُ الباحثُ بِكَفاءَتِهِ العِلميَّةِ، مِثلَ مَا مَرَّ قَبلَ سُطورٍ، وَأَمَّا الدكتور البصير، فَقَد قَالَ:

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٦.
(٢) حيدر الحِلِّيّ: ١٠٦.
(٣) شرح ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ، صالح الجعفريّ، المقدِّمة: م.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ١٢٢.

«إِنَّ فِي رِثَاءِ حَيدَر لِشُـهدَاءِ الطَّف، مَا يُفَتِّتُ الأَكبادَ أَسًـى وَلَوعَةً، وَيُذيبُ القُلوبَ أَسفًا وَحَـسرةً، وَلَكِنَّ فِيهِ كَذَلكَ مَـا يَملأُ الرُّؤُوسَ أَنَفةً، وَالصُّدورَ حَمِيَّةً وَحَماسَـةً، وَالنُّفُوسَ جُـرأَةً وَإِقدَامًـا»[1]. وَيقولُ فِيهِ أَيضًا بَعدَ أَن يَسـتَعرِضَ بَعضَ قَصائِدِهِ الشِّـعرِيَّةِ: «هَذَا مَا يَحمِلُنَا عَلَى الإِعجَابِ بِحَيدَر، وَيَحدو بِنَا إِلَى حَشرِهِ فِي طَلِيعَةِ شُـعرَاءِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِن نَاحِيَةِ الرِّثَاءِ، فَعَسَـى أَنْ نَنْصِفَ هَذَا الشَّـاعِرَ العَظِيمَ الَّذِي نَسينَاهُ نِسـيَانًا تَامًّا، وَأَهملنَاهُ إِهمَالًا كَامِلًا، وَعَسَى أَنْ نَطْبَعَ دِيوانَهُ طَبعةً تَليقُ بِمَقَامِهِ»[2].

وَقَـالَ الدكتور البَصير أَيضًا: «يَجبُ أَن نَتَذَكَّر أَنَّ التَّقَالِيدَ الأَدَبِيَّةَ السَّـائِدةَ فِي عَصرِ السَّـيِّد حَيدَر كَانَت تَرضَى- هَذا الأُسلوبَ- وَتَقِرُّهُ، بَلْ تَستَجِيدُهُ وَتَستَحْسِنُه، وَإِنَّ هَذَا مَوجودٌ فِي رِثَاءِ شَـوقِي وَالزَّهَاوِيّ، رَغْمَ تَجَدُّدِهِمَا، وَرَغمَ اطِّلَاعِهِمَا عَلَى مَا لَم يَطَّلِعَ عَلَيهِ حَيدَر مِن أَلوَانِ العِلمِ وَالثَّقَافَة»[3]، وَغَيرُ هَذَا كَثِيرٌ، وَكَثِيرٌ جِدًّا.

مَعرِفَةُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ بِالرِّجَالِ

قَالَ فِي مَعرَضِ نَقْدِهِ لِشِعرِ السَّيِّدِ حَيدَر: «خُذْ مَثلًا قَولَه يَمدَحُ صَديقَه محمَّد حَسَن كُبَّة، الَّذِي لَم يَكُنْ إِلَّا تَاجِرًا، مِن أُسرَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ مَعرُوفَة»[4].

وَالشَّيخُ الفَاضِلُ مُحَمَّد حَسَنٍ ابنُ الحَاجِّ مُحَمَّد صَالِح ابنِ الحَاجِّ مُصطَفَى ابنِ الحَاجِّ دُرويش عَليّ آل كُبَّة البَغدَاديّ، وُلِدَ فِي الكَاظِمِيَّة سَـنةَ (١٢٦٩هـ)، وَاشْـتَغَلَ بِالتِّجَارَةِ، فَكانَـت الدُّنيَا مُلقِيةً إِلَيـهِ زِمَامَهَا، وَعَلَيهِ مُقْبِلَـةً، وَلَه فِي تِلكَ الأَيَّامِ شِـعرٌ رَقِيقُ اللَّفظِ، مُنسَـجِمُ التَّركيبِ، ثُمَّ عَـزَفَ عَنهَا، وَتَرَفَّعَ عَن مُغْرَيَاتِهَا، فَتَركَهَـا، أَحْرَقَ وَأَتلَفَ مُعظَم

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٤.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧١.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧١.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ١٢٥.

قَصَائِـدِه وَأَشْـعَارِهِ[1]، وَلَمْ يَبـقَ مِنـهُ إِلَّا مَا تَنَاثَرَ فِي مجَامِيـعَ خَطِّيَّة، وَغَيرِهَـا، وَانْصَرفَ لِلدِّراسَـةِ العِلمِيَّـةِ، فَهَاجَـر إِلَى النَّجَفِ وَأَخذَ عَن الشَّـيخِ أَغَا رِضَا الهَمَدَانيّ، وَالشَّـيخِ عَبَّاس الجَصَّانِيّ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى سَامَرَّاءَ، فَاتَّصَل بِالإِمَامِ السَّيدِ المِيرزَا حَسَن الشِّيرازيّ ﷺ، وَبَعدَ وَفَاتِهِ، اتَّصَلَ بِخَلِيفَتِهِ الإِمَامِ الشَّـيخِ مُحَمَّد تَقِي الشِّـيرَازِيّ الحَائِرِيّ ﷺ، وَقَد أَجازَه فِي الفَتوَى وَرِوايةِ الحَدِيثِ، لَه أَكثرَ مِن خَمسِينَ كِتَابًا، تُوفِّيَ سَنةَ (١٣٣٦هـ)[2].

لِذَلِـكَ قَـالَ فِيـهِ العَلَّامَة الشَّـيخُ محمَّـد السَّـماوِيّ ﷺ: هَـذَا الرَّجُلُ مَوضـعُ قَولِ القَائِلِ:

وَآخَـــــرٌ فَـــازَ بِـكِـلْـتَـيْـهِـما
قَـــدْ جَمَـــعَ الـــدُّنـيَـا مَـــعَ الآخِـــرَة

وَقَـالَ فِيـهِ العَلَّامةُ السَّـيِّد محمَّـد مَهدي الموسَـويّ الأَصفَهـانيّ الكَاظِمـيّ المُتوفَّى (١٣٩١هـ): «العَلَّامةُ الكَبيرُ وَالفَقيهُ الشَّهيرُ أَبو الهَادِي مُحَمَّد الحَسَن بنُ محمَّد الصَّالِح.. حَتَّى قَالَ.. هَذَا الشَّـيخُ مِن كِبَارِ عُلَمائِنَا الَّذِينَ أَدركنَاهُم وَأَبصرنَاهُم، وَلَو كَانَ بَاقِيًا بَعدَ أُستَاذِهِ، لَانتهَت الرِّئَاسَةُ الدِّينيَّةُ إِلَيهِ».

فَهَل عَلَى هَذَا العَالِم الجَلِيلِ يُقالُ: «الَّذِي لَمْ يَكُنْ إِلَّا تَاجِرًا»؟! وَمَا مَعنَى هَذَا؟! أَهوَ نِكايةٌ بِعَالِمٍ جَلِيلِ القَدرِ؟! أَم بِشَاعِرٍ أَشهرَ مِن نَارٍ عَلَى عَلَم؟! أَم هو جَهلٌ مُطبقٌ؟

(١) ديوان الشيخ محمَّد حسن كبَّة، المقدِّمة: ٥.

(٢) الشـيخ محمَّد حسن كبَّة، العقد المفصَّل للسـيِّد حيدر الحِلِّـيّ: ١/ ٣٢-٣٨، ومعارف الرجال: ٢/ ٢٤٠، والطليعـة: ٢/ ٢٥٥، وأعيـان الشـيعة: ٤٣/ ١٧٤-١٧٨، وريحانة الأدب: ٥/ ٨٣، وشرح ديوان السـيِّد حيدر الحِلِّـيّ لصالح الجعفريّ: ١٥، كما ترجم له عـليّ الخاقانيّ في: ديوان السـيِّد حيدر: ١/ ٨٩، وديوان السـيِّد حيدر المحقَّق: ١/ ١٧٣، مصفى المقال: ١٣٢، وطبقات أعلام الشيعة ١٣/ ٤٠١، وأحسـن الوديعة: ١٧٦، ومكارم الآثار: ٦/ ١٩٢٧، ونهضة العراق الأدبيَّـة: ٢٨٤، والأعلام: ٦/ ٩٤، ومعجم المؤلِّفين: ٩/ ٢١٥، ومعجم رجال الفكر والأدب: ٣/ ١٠٦٣، ومعجم المؤلِّفين العراقيِّين: ٣/ ١٤١، ومجلَّة الأديب اللبنانيَّة: ٤/ ١٠، ١٩٧٣.

رَأيُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ في مَراثي السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ

قَالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَلَيسَ الغُلُوُّ وَحدَهُ هُوَ الصِّفَةُ المُميَّزةُ فِي مَراثِيهِ هَذِه، وَإِنَّما هُنـاكَ التَّكَلُّـفُ فِي إِظهَارِ حُزْنِهِ تَكَلُّفًا وَاضِحًا، يُشَـابِهُ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيـدَةٍ المُمَثِّلَ الرَّدِيءَ الَّذي يُمثِّلُ دَورًا بَعيدًا عَنِ الإِثَارَةِ»[1].

هَكذَا يَفهَم السَّـيدُ عَليّ الحُسَـينيّ رِثَاءَ السَّيِّدِ حَيدَر، أَمَا أَسَـاتِذَةُ الأَدَب وَمُؤَرِّخوهُ فَلَهُم رَأيٌ آخرَ، فَهَذا الدكتور البَصير يُقَارِنُ بَينَ رِثَاءِ السَّـيدِ حَيدَر، وَرِثَاءِ السَّيِّدِ الحَبُّوبيّ (عَلَيهِـما رِضوَانُ الله تَعَـالَى وَرَحمَتُهُ)، قَـالَ: «وَعِندي أَنَّ الحَبُّوبِي أَغْزَلُ شُـعرَاءِ عَصـرِه، وَأَنَّ حَيـدَرًا أَرثَى شُـعراءِ عَصـرِه، وَأَنَّ لِلحَبُّوبِي رِثاءً بَليغًـا، وَلَكنَّه دُونَ رِثَاءِ حَيدَر عَلَى الإجمَـالِ، وَإِنَّ لِحيدَر غَزلًا طَرِيفًا، وَلَكنَّهُ دُونَ غَزَلِ الحَبوبِيّ، وَإِنَّهَا مَعًا فِي الرَّعِيلِ الأَوَّلِ مِن شُعرَاءِ العَربِيَّةِ»[2].

وَعِندمَا يَذكرُ شِـعرَه عَامَّةً وَدِيوانَهُ، يَقولُ: «أَمَّا دِيوانُه فَإِنَّه يَحتوي عَلَى كُلِّ بَابٍ مِن أَبوَابِ الشِّعرِ القَديمِ، وَالرَّجُلُ مُجيدٌ فِي هَذِهِ الأَبوَابِ جَميعًا، عَلَى اخْتلَافٍ فِي الإِجَادَةِ، إِلَّا أَنَّهُ يَبلُغُ أَوجَ شَاعِرِيَّتِهِ فِي الرِّثَاءِ»[3].

وَيقولُ فِي رِثَائِهِ: «وَتَسـأَلوني عَنِ الأَسـبَابِ الَّتِي مَكَّنَت لِحَيدَر أَنْ يَبلُغَ هَذَا الشَّأوَ البَعيدَ فِي الرِّثَاءِ، فَأَقولُ لَكُم إِنَّها صِنفَانِ: نَفسيَّةٌ وَثَقَافِيَّة»[4].

وَلِتِبيَـانِ الأَسـبَابِ الَّتِـي جَعَلَت السَّـيِّدَ حَيدَر شَـاعِرَ الرِّثـاءِ لأَهلِ البَيـتِ عَامَّةً، وَلشُـهدَاءِ الطَّفِّ خَاصَّـةً، قَالَ: «أَدَارَ السَّـيِّد حَيدَر نَظَـرَه فِي مَا حَولَه مِـن بِيئَتِهِ الأَدبيَّةِ

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٧١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ١٥.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٨-٤٩.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٥٩.

وَالمَاديَّةِ، فَوَجدَ هَذِه المَأسَـاةَ الخَالِدةَ، مَأساةَ كَربلَاءَ، فَمَنحَهَا عَقلَهُ وَقَلبَهُ، وَوَهَبهَا خَيالَهُ وَشُعُورَهُ، وَحَبَسَ عَلَيهَا لِسَانَهُ وَقَلَمَه»[1].

وَيَسأَل الدُّكتور البَصير رحمه الله قَائِلًا: «أَلَيسَ فِي مَرَاثِي السَّيِّدِ حَيدَر لِشُهدَاءِ الطَّفِّ شَيءٌ آخَرَ سِوَى البُكَاء؟! نَعَم، إِنَّ فِيهَا وَصفًا لَا يَفوقُهُ وَصفٌ لِلإِبَاءِ، وَتَصويرًا لَا يَفوقُهُ تَصويرٌ لِلشَّجَاعَةِ وَالنَّجدَةِ، وَالبَسَالَةِ وَالجُرأَةِ»[2].

وَيَقولُ أَيضًا: «إِنَّ فِي رِثاءِ حَيدَر لِشُـهَداءِ الطَّفِّ عليهم السلام مَا يُفَتِّتُ الأَكبَادَ أَسًى وَلَوعَةً، وَيُذيبُ القُلُوبَ أَسـفًا وَحَسرَةً، وَلَكِنَّ فِيهِ كَذَلِكَ مَا يَملَأُ الرُّؤُوسَ أَنَفَةً، وَالصُّدُورَ حَمِيَّةً وَحَمَاسَةً، وَالنُّفُوسَ جُرأَةً وَإِقْدَامًا»[3].

وَعَـن شِـعرِهِ فِي رِثَاءِ غَيرِ أَهـلِ البَيتِ، يَأخُـذُ قَصيدتَينِ مِثالًا، وَيَقـولُ: «فِي هَاتَينِ القَصيدَتَينِ مِن رِقَّةِ الشُّـعُورِ، وَحَرَارةِ العَاطِفَةِ، مَا يُخَيَّلُ لَكَ مَعَه أَنَّ الشَّـاعِرَ يَبكِي حَبيبًا أَسَرَ لُبَّهُ، وَتَيَّمَ قَلبَهُ، وَنَفذَ إِلَى أَعماقِ نَفسِهِ، وَفِي الحَقِيقَةِ أَنَّهُ يَبكِي إِنْسَانًا لَم يَقَعْ بَصَرهُ عَلَيهِ فِي يَـومٍ مِـنَ الأَيَّامِ، فَقَد كَانَ يَرثِي فَتَـاةً خَطَبَهَا شَريفٌ عَظِيمُ المَنزِلَـةِ، فَحيلَ بَينَه وَبَينَهَا، فَتُوفِّيَت الفَتَاةُ بَعدَ فَشلِ الخِطْبَةِ بِقَلِيل»[4].

وَيَقـولُ الدكتـور البَصـير رحمه الله: «الشَّـيءُ الوَحيـدُ الَّـذِي أَفْهَمُهُ مِـن إِجَـادَةِ حَيدَر فِي أَمثَـالِ هَـذِهِ المَراثِـي، هُـوَ اسْـتِعدَادِهِ الفِطْـرِيّ القَـويّ لِلتَّعبِيرِ عَـنِ الحُـزنِ، أَيًّا كَانَ نَوعُـه، وَأَيًّـا كَانَ مَصـدَرُه، وَهَـذَا مَـا أُفَسِّـرُ بِـهِ إِجَادَتَـه فِي هَذَا المِقـدَارِ الضَّخِـمِ مِنَ الرِّثَاءِ»[5].

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٢.
(٣) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٤.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٦.
(٥) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٦-٦٧.

وَفي رِثَائِـهِ لِلإِمَامِ الشَّـيخِ مُرتَضى الأَنْصَارِيّ[1]، وَهوَ زَعِيـمُ الحَوزَةِ العِلمِيَّةِ فِي زَمَانِـهِ، وَكان مَضرَبَ المَثَلِ فِي التَّقـوَى وَالزُّهْدِ، وَالصَّلَاحِ وَالـوَرَعِ، بِقَصِيدتِهِ العَينِيَّةِ، الَّتِي ذَكَرَهَا الدكتور البصير فِي بَحثِهِ لِيُظهِرَ جَودَتَها.

قَالَ السَّيِّد حَيدَر[2]:

يَـا رَاحِـلًا بِـالْـعِـلْـمِ تَـنْـ
ـقُـلُـهُ عَـنِ الـدُّنْـيَـا بِجَمِـيـعَـهْ

وَمُـوَسَّـدًا فِي تُـرْبَـةٍ
بَـاتَ الـصَّـلَاحُ بِهَـا ضَـجِـيـعَـهْ

كُـنْـتَ الـذَّرِيـعَـةَ لِـلْـهُـدَى
وَالْـيَـوْمَ بَـعْـدَكَ لَا ذَرِيـعَـهْ

إِنَّ الْـوَرَى فِي فَـتْـرَةٍ
عَـمْـيَـاءَ لَـيْـسَ لَهَـا طَـلِـيـعَـهْ

تَـرْتَـادُ مِـثْـلَـكَ سَـابِـقًـا
بَـيْنَ الحَـسِـيـرَةِ وَالـضَّـلِـيـعَـهْ

مَـا كَـانَ أَحْـوَجَـهَـا لِـطِـبْـ
ـبِـكَ أَيُّهَـا الـرَّاقِـي الْـلَّـسِـيـعَـهْ

(١) الشَّـيخُ مُرتَضَـى الأَنصَارِيُّ: هُوَ آيـةُ الله العُظمَى، رَئِيسُ عُلـماءِ الإِمَاميَّةِ، حَبـرُ الأُمَّةِ، وَإِمَامُ المُحَقِّقِينَ، أُستَاذُ الفُقَهَاءِ وَالمُجتَهدِينَ، الشَّيخُ الأَعظَمُ مُرتَضى بنُ محمَّد أَمينٍ الدَّزفُولِيُّ الأَنصَارِيُّ، كَانَ مُقِيمًا فِي النَّجَفِ الأَشرَفِ، وَتوفِّيَ فِيهَا سَنَةَ (١٢٨١هـ)، لَهُ تَصانيفُ عَديدةٌ، مِنهَا: (المكاسب) الَّـذِي يُدَّرسُ فِي الحَوزَاتِ العِلميَّـةِ مُنذُ تَأليفِهِ حَتَّى يَومِنَا هَـذَا، وَ(الفرائد الأصوليَّة)، و(إثبات التسـامح في أدلَّـة السُّـنن)، و(كتاب الإرث). له ترجمـة في: أعيان الشـيعة: ٨/ ٣١٥، ومصفى المقال: ٤٥٥، والأعلام: ٧/ ٢٠١، ومعجم المؤلِّفين: ١٢/ ٢١٦.

(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٧٥.

فَـــاذْهَـــبْ فَـــلَـــمْ تَـــصْـــلَـــحْ لِـــمِـــثْـــ
ـــلِـــكَ هَـــــذِهِ الـــدُّنْـــيَـــا الخَـــدُوعَـــهْ
فَـــلَـــهَـــا دَخَـــلْـــتَ وَأَنْـــــتَ مَحْـــ
ـــمُـــودُ الـــسَّـــجِـــيَّـــةِ وَالـــطَّـــبِـــيـــعَـــهْ
وَصَـــحِـــبْـــتَـــهَـــا بِـــجَـــوَارِحٍ
عُـــصِـــمَـــتْ لِـــخَـــالِـــقِـــهَـــا مُـــطِـــيـــعَـــهْ
وَخَـــرَجْـــتَ مِـــنْـــهَـــا طَـــاهِـــرَ الْـــ
أَبْـــــرَادِ مَـــشْـــكُـــورَ الـــصَّـــنِـــيـــعَـــهْ
فَـــلْـــتَـــبْـــكِ مَـــفْـــقَـــدَكَ الْـــــوَرَى
يَـــا نَـــيِّـــرًا فَـــقَـــدَتْ طُـــلُـــوعَـــهْ
وَلْـــتَـــسْـــتُـــرِ الْهُـــــلَّاكُ خِـــلْـــ
ـــلَـــتَـــهَـــا وَلَا تَـــشْـــكُـــوْ الـــقَـــطِـــيـــعَـــهْ
قَـــدْ فَـــاتَـــهَـــا الـــعَـــيْـــنُ الـــبَـــصِـــيْـــ
ـــرَةُ مِـــنْـــكَ وَالأُذْنُ الـــسَّـــمِـــيـــعَـــهْ
كَـــانَـــتْ تَـــرَى بِـــكَ مِـــنْ أَمَـــا
مَـــكَ غُـــرَّ أَوْصَـــــافٍ بَـــدِيـــعَـــهْ
قَـــدْ رَاضَ نَـــفْـــسَـــكَ زُهْـــــدُهُ
فَـــغَـــدَتْ بِـــقُـــرْصَـــيْـــهِ قَـــنُـــوعَـــهْ
وَبِـــلُـــبْـــسِ طِـــمْـــرَيْـــهِ اكْـــتَـــفَـــتْ
فَـــاسْـــتَـــشْـــعَـــرَتْ بِـــهِـــمَا خُـــشُـــوعَـــهْ
وَصَـــنَـــعْـــتَ إِذْ كُـــنْـــتَ الأَمِـــيْـــ
ـــنَ عَـــلَى الْـــحُـــقُـــوقِ بِـــهَـــا صَـــنِـــيـــعَـــهْ

وَرَأَيْـــــــتَ فِـــيـــهَـــا رَأْيَـــــهُ
لَـــمَّا لَـــدَيْـــكَ غَـــــدَتْ وَدِيـــعَـــهْ
فَـــلِـــذَا بِهَـــا سَـــاوَيْـــتَ عَـــا
لِـيَـــةَ الـــنُّـــفُـــوسِ مَـــعَ الـــوَضِـــيـــعَـــهْ
وَالآنَ قَـــــدْ ضَـــاقَـــتْ لِـــرُزْ
ئِـــكَ فِي الْـــوَرَى الأَرْضُ الـوَسِـيـعَـهْ
عَـــــادَتْ كَـــيَـــوْمِ وَفَـــاتِـــهِ
لَـــكَ ذَاتَ أَحْـــشَـــاءٍ صَـدِيـعَـهْ
هَـــــذِي الـفَـجِـيـعَـةُ جَـــــدَّدَتْ
أَحْـــــزَانَهَـــا تِـــلْـــكَ الـفَـجِـيـعَـهْ

ثُـمَّ يُعَلِّقُ الدُّكتور البَصير عَلَى هَذِه القَصيدةِ قَائِلًا: «أَلَيسَ فِي هَذَا صُورةُ إِمَامٍ أَلقَت الدُّنيَا إِلَيهِ قِيادَهَا، وَمَكَّنَتهُ مِن نَفْسِهَا، فَصَدَفَ عَنهَا، وَزَهَدَ بِهَا، وَقَصرَ هَمَّهُ عَلَى مَا يُرضِي رَبَّهُ، وَيُصلِحُ مِن أُمُورِ آخِرَتِهِ!!..»[1].

وَيَتَطَرَّقُ إِلَى رِثَاءِ العَلَّامة السَّيِّد المِيرزَا صَالِح القَزوينيّ، وَأَخِيهِ السَّيِّد المِيرزَا جَعفَر، مِثالًا آخَرَ لِرثَاءِ غَيرِ أَهلِ البَيتِ عليهم السلام، وَيَذكرُ مَقْطَعًا مِن قَصِيدَةِ رِثَائِهِمَا:[2]

أَفْـعَـى الأَسَـى طَـرَقَـتْ وَغَـابَ الـرَّاقِـي
فَـأَنَـا الْـلَّـدِيـغُ وَأَدْمُـعِـي دِرْيَـاقِـي
بَـاتَـتْ تُـسَـاوِرُ- وَهْـيَ غَـيْرُ ضَئِيلَةٍ-
حَـتَّـى رَشَـحْـنَ بِـسُـمِّـهَـا آمَـاقِـي

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧٠.
(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٨٨.

لَا رَاقَ نَفْسِي العَيْشُ بَعْدَكِ لَيْلَةً
ضَرَبَتْ عَلَيَّ بِأَسْدَفِ الأَرْوَاقِ
أَثْكَلْتِنِيهَا- يَا ثَكَلْتُكِ قَبْلَهَا-
غُرَرًا أَعَزَّ عَلِيَّ مِنْ أَحْدَاقِي
فَأَعَدْتِ لِيْ- فِي فَقْدِ أَطْيَبِ مُعْرِقٍ
فِي المَجْدِ- مَفْقَدَ طَيِّبِ الأَعْرَاقِ
ذَهَبَا بَأَيَّامٍ خَطَرْتِ مَعَ الْهَوَى
مِنْهَا بِمُعْلِمَةِ البُرُودِ رِقَاقِ
زَمَنًا لَبِسْتُ حَبِيرَهَا وَنَضَوْتُهَا
عَنْ جِدَّةٍ، وَأَبِيكِ لَا إِخْلَاقِ
فَلأَنْدُبَنَّ اليَوْمَ (صَالِحَ) عَهْدِهَا
وَلأَبْكِيَنَّ نَفَائِسَ الأَعْلَاقِ
وَلأَحْلِبَنَّ مِنَ الشُّؤُونِ حُشَاشَتِي
دَمْعًا كَمُنْدَفِقِ الحَيَا الْمِهْرَاقِ

وَيُعَلِّق الدكتور البَصير عَلَيهَا فَيقولُ: «أَليسَ فِي هَذَا صُورةُ صَديقٍ حَميمٍ يَندُبُ صَديقَينِ مَحضَهُما وُدَّهُ، وَأَصفَاهُمَا حُبَّهُ، وَقَد فَجَعَهُمَا بِهِ القَدَر خِلَالَ سَنواتٍ؟!»[1]

ثُمَّ يَلتَفِتُ لِقَصيدَةِ السَّيِّدِ حَيدَر فِي رِثَاءِ عَمِّهِ السَّيِّدِ مَهديّ كَمِثالٍ ثَالِثٍ لِلرِّثَاءِ، وَيَذكرُ قِسمًا مِنَ القَصِيدَة:[2]

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٧٠-٧١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر: ٢/ ١٣٤.

أَ ظُبَى الـرَّدَى انْصَلِتِي وَهَـاكِ وَرِيـدِي
ذَهَـبَ الـزَّمَـانُ بِـعُـدَّتِي وَعَـدِيـدِي
نَـشَـبَـتْ سِـهَـامُ الـنَّـائِـبَـاتِ بِـمُـقْـلَـتِي
فَـلِـحِـفْـظِ مَـاذَا أَتَّـقِـي عَـنْ جِـيـدِي
مَـاذَا الَّـذِي يَـا دَهْـرُ تُـوعِـدُنِي بِـهِ
أَوَ بَـعْـدُ عِـنْـدَكَ مَـوْضِـعٌ لِـمَـزِيـدِ؟!
طَـرَقَـتْـنِـيَ الـدُّنْـيَـا بِـأَيِّ مُـلِـمَّـةٍ
ذَهَـبَـتْ عَـلَيَّ بِـطَـارِفِي وَتَـلِـيـدِي
الآنَ أَصْـبَـحَ لِـلـنَّـوَائِـبِ جَـانِـبِـي
غَـرَضًـا، وَشَـمْـلُ قُـوَايَ لِـلـتَّـبْـدِيـدِ
طَـلَـعَـتْ عَـلَـيَّ الـحَـادِثَـاتُ ثَـنِـيَّـةً
لَا يُهْـتَـدَى لِـرُنَـاجِـهَـا الَمَـسْـدُودِ
وَإِلَيَّ قَـدْ صَـعَـدَتْ ذُرًا مِـنْ شَـاهِـقٍ
لَا تُـرْتَـقَـى هَـضَـبَـاتُـهُ بِـصُـعُـودِ
فَـنَـزَعْـنَ مِـنْ كَـفَّـيَّ قَـائِـمَ أَبْـيَـضٍ
أَعْـدَدْتُـهُ لِـلِـقَـا الْـخُـطُـوبِ الـسُّـودِ
قَـدْ مِـلْـتُ نَـحْـوَ الـصَّـبْـرِ حِـينَ فَـقَـدْتُـهُ
فَـإِذَا الـمُـصَـابُ بِـصَـبْـرِيَ الَمَـفْـقُـودِ
عَـجَـبًـا أَمِـنْـتُ الـدَّهْـرَ وَهْـوَ مُـحَـاتِـلِي
وَرَقَـدْتُ، وَالأَيَّـامُ غَـيْـرُ رَقُـودِ
وَأَنَـا الـفِـدَاءُ لِـمَـنْ نَـشَـأْتُ بِـظِـلِّـهِ
وَالـدَّهْـرُ يَـرْمُـقُـنِـي بِـعَـيْـنِ حَـسُـودِ

لَمْ أَدْرِ مَا لَفْحُ الْخُطُوبِ بِحَرِّهَا
وَهْوَاجِرُ الأَيَّامِ ذَاتُ وُقُودِ
مَازِلْتُ وَهْوَ عَلَيَّ أَحْنَى مِنْ أَبِي
بِأَلَذِّ عَيْشٍ فِي حِمَاهُ رَغِيدِ
حَتَّى رَمَانِي فِي صَبِيحَةِ نَعْيِهِ
أَرْسَى بِدَاهِيَةٍ عَلَيَّ كَؤُودِ
فَفَقَدْتُهُ فَقْدَ النَّوَاظِرِ ضَوْءَهَا
وَعَجِبْتُ عَجَّةَ مُثْقَلٍ مَجْهُودِ

قَالَ الدكتور البَصير مُعَلِّقًا: «أَلَيسَت هَذِه صُورةُ وَلَدٍ بَارٍّ يَقطُرُ قَلْبُهُ الأَسَى عَلَى قَبرِ أَبِيهِ، وَتِلميذٍ وَفِيٍّ يَذرفُ دُموعَهُ حُزنًا لِفَقْدِ أُستَاذِهِ؟!»[1].

وَخُلَاصَةُ رَأي الدكتور البَصير فِي رِثَاء السَّيِّدِ حَيدَرٍ قَولُهُ: «هَذا مَا يَحمِلُنَا عَلَى الإعجَابِ بِحَيدرٍ، وَيَحدو بِنَا إِلَى حَشرِهِ فِي طَلِيعَةِ شُعرَاءِ اللُّغَةِ العَربِيَّةِ مِن نَاحِيةِ الرِّثَاء، فَعَسَى أَن نَنصِفَ هَذا الشَّاعِرَ العَظِيمَ الَّذِي نَسِينَاهُ نِسيَانًا تَامًّا، وَأَهملنَاهُ إِهمَالًا كَامِلًا»[2].

هَذَا هُوَ شِعر الرِّثَاءِ لِلسَّيِّدِ حَيدَر الَّذِي قَالَ فيه السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَلَيسَ الغُلُوُّ وَحدَهُ هُوَ الصِّفَةُ المُمَيَّزةُ فِي مَراثِيهِ هَذِه، وَإِنَّمَا هُناكَ التَّكَلُّفُ فِي إِظهَارِ حُزنِهِ تَكَلُّفًا وَاضِحًا، يُشَابِهُ مِنْ وُجُوهٍ عَدِيدَةٍ المُمَثِّلَ الرَّدِيءَ الَّذي يُمثِّلُ دَورًا بَعيدًا عَنِ الإِثَارَةِ»[3].

وقَالَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّي فِي رِثَاءِ كَرِيمَةِ الحَاجِّ محمَّد صَالِح كُبَّة:[4]

(١) نهضة العراق الأدبيَّة ٧١.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة ٧١.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ١٧١.
(٤) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ١٢٩.

تِـلْـكَ الَّـتِـي عَـنْـكُـمُ اسْـتَـقَـلَّـتْ
عِـيـسُ الْمَـنَـايَـا بِهَـا تَـسِـيـحُ
طُـوبَـى لَـهَـا جَـاوَرَتْ ضَرِيحًـا
عَـنْ جَـارِهِ رَبُّـهُ صَـفُـوحُ
وَاضْـطَـجَـعَـتْ، فِي حِـمًى، ضَـجِيعًا
حَـمِـيِّـهِ آدَمٌ وَنُـوحُ

فَيَعتَرض السَّيِّد عَليّ الحُسَـينيّ، قَائِلًا: «وَيقولُ فِي رِثَاءِ امرأةٍ وَتَعزِيَةِ أَهلِهَا، بِأَنَّهَا قَد اضْطَجَعَت ضَريحًا طَيِّبًا»[1]. ثُمَّ يَذكرُ الأَبيَات الثَّلاثَةَ المَذكورةَ آنِفًا.

لَا أَدري أَفَهِـمَ عَـليَّ الحُسَـينيّ بَيتَ السَّـيدِ حَيـدَر؟! أَم لَم يَفْهَمه؟! وَالبَيـتُ أَمَامَ القَارِئ، وَمَوجودٌ فِي الدِّيوَانِ، وَاعتراضهُ يَنِمّ إِمَّا عَنْ جَهلٍ مُطبقٍ فِي الشِّـعرِ وَمَعَانِيهِ، أَو كُفرٍ بِقُدسيَّةِ ضَريحِ أَمِيرِ المُؤمِنينَ سَلَامُ الله عَلَيه.

هَذَا وَمَا شَـابَهَهُ كَثيرٌ فِي كِتَابِ السَّـيدِ عَليّ الحُسـينيّ، بَل الكِتابُ كُلُّهُ يَقُومُ عَلَى مِثلِ هَذَا الاعْتِراضِ الشَّـنيعِ عَلَى صُـورةٍ رُوحِيَّةٍ صَادِقَةٍ تُدَغْدِغُ المَشَـاعِرَ، وَتُطَيِّبُ الخَواطِرَ، وَبعدُ فَهيَ مِن لُبِّ العَقِيدَةِ الرَّاسِخَةِ فِي العُقُولِ وَالقُلُوبِ.

وَيَرثي السَّيِّد حَيدَر ﷺ العَلَّامة الشَّيخَ مَهديّ ابنَ الشَّيخِ عَليٍّ كَاشِف الغِطَاءِ، وَمُعَزِّيًا أَولَادَه وَأَخَاهُ الشَّـيخَ جَعفر، وَالعَلَّامَة السَّـيِّد مَهدِي القَزوينيّ، بِقَصيدةٍ مِن (٦٥) بيتًا، قَالَ فِي آخِرِ بَيتٍ مِنهَا:[2]

مَـاذَا أَقُـولُ مُـعَـزِّيًـا بِـنَـشَـائِـدِي؟!
قَـطَـعَـتْ مَـهَـابَـتُـكُـمْ لِـسَـانَ نَـشِـيـدِي

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٧٤.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ١٥٢.

فَيَعـتَرض السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ، قَائِـلًا: «وَيَعتـذَرُ فِي قَصيـدَةٍ أُخرَى، بِـأَنَّ مَهَابَةَ آلِ المَرثِيّ قَد أَخرَسَتهُ حَتَّى لِأَنَّه لَم يَعرف كَيفَ يُعَزِّيهِم»[1].

وَهَـذا اعْتِرَاضٌ لَا يَسْـتَحِقُّ الرَّدَّ عَلَيهِ؛ فَهـوَ نَاجِمٌ عَن قِلَّةِ مَعرفَةٍ بِـالأُسَرِ العِلمِيَّةِ، وَرِجَالِهَـا العُلَـمَاءِ الأَفـذَاذِ، وَهَيبَتِهِم النَّاجِمَـةُ عَن تَسـخِيرِ حَيَاتِهِم مِن أَجـلِ خِدمَةِ المِلَّةِ وَالدِّيـنِ؛ لِذَلِـكَ يَرزقُهُـم الله تَعَالَى هَيبـةً عَظيمَـةً، وَيُنيرَ وُجُوهَهَـم المُبَارَكَة مِـن نُورِهِ الكَريم.

إِنَّ السَّـيِّدَ عَـلِيٍّ لَا يَفهَم هَذَا كُلَّهُ، وَهو بَعيـدٌ عَنهُ كُلَّ البُعدِ، فَكيـفَ نَدخلُ مَعَه فِي نِقَاشٍ؟! وَهَكذا فَكِتَابُه مَشحونٌ بِهذَا وَغَيرِه.

وَفِي قَصِيدَةٍ يَتَحَمَّسُ فِيهَا السَّيِّد حَيدَر قَائِلًا:[2]

مَـا ضَرَّنِي بَـيْنَ قَـوْمٍ خَـفْضُ مَـنْزِلَتِي
وَمَـنْـزِلِي فَـوْقَ هَـامِ السَّـبْعَةِ الشُّهُـبِ
وَحَسْـبُ نَـفْسِي- وَإِنْ أَصْبَحْتُ ذَا عُـدُمٍ
مِـنْ ثَـرْوَةٍ- أَنَّـنِـي مُـثْـرٍ مِـنَ الأَدَبِ

فَيُعَلِّق السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ عَلَى هَذينِ البَيتينِ بِإسـلُوبِهِ المَعـروفِ، وَمَنهجِهِ الَّذِي يَتَلاءَمُ مَعَ طَبعِهِ وَطَبيعتِهِ الَّتِي تَكَشَّفَت لنَا مِن أَقوالِهِ، فَـ«الـمَرءُ مَخبوءٌ تَحتَ طَي لِسَانِهِ»، مِثلَ مَا قَالَ مَولَانَا أَميرُ المُؤمِنينَ سَلَامُ الله عَلَيهِ.

قَالَ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ: «بَعـدَ هَذَا الفَخرِ كُلِّهِ، يَـأتِي الشَّـاعِرُ إِلَى (تَقدِيرِ) نَتَاجِهِ الأَدَبيّ، فَيُؤَكِّـدُ لَنَا عَدَمَ اهْتِمَامِهِ بِمَا يَقولُهُ البَعضُ[3] فِي الحُكمِ عَلَى نَتَاجِهِ، فَسَـواءٌ أَعلَوا

(١) حيدر الحِلِّيّ: ١٧٤.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٥.
(٣) يجب أن يقول: (بعض) فالألف واللام لا تدخل على (بعض).

مَنزلَتـه، أَو عَلَى العَكسِ، فَذَلكَ لَا يَضيرُه شَـيئًا، إذ إِنَّ مَنزلَتَه الأَدَبيَّةَ (فوقَ هَامِ السَّـبعَة الشُّـهُبِ)، ثُمَّ مَاذَا يَضُـرُّ هَذا الفَقرُ الَّذِي يُلازِمُه وَالإدقَـاعِ الَّذِي يُلاحِظُه، وَهوَ مُكتَفٍ بِهذِهِ الثَّروةِ الأَدبيَّةِ الَّتِي بَنَاهَا لِنَفسِهِ، وَبِدونِ مَعونَةٍ مِن أَحَدٍ»[1].

نُجيبُ أَيضًا وَلَو أَنَّ الأَمرَ لَا يَستَوجِبُ الرَّدَّ، فَنقولُ:

صَـدقَ السَّـيِّد حَيدَر -عَلَيهِ رِضوَانُ الله- مَاذَا يُؤَثِّرُ مِثلُ هَـذَا الكَلَام، وَإِن كَانَ هوَ أَقـربُ إِلَى الثَّلبِ مِنَ النَّقدِ الأَدَبيّ، وَهوَ العَلَمُ الشَّـامِخُ، وَالصَّخرَةُ المَلسَـاءُ الَّتِي تَتكَسَّر عَليهَا قُرونُ الوُعولِ.

نَقولُ لِلسَّـيِّدِ عَليّ: مِنْ أَينَ جِئتَ بِالإِدْقَاعِ وَالفَقْرِ الَّذِي يُلَازِمُهُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ، أَلَمْ يَمُـرَّ عَلَيكَ قَولُ الدكتور البَصير، حِينَمَا تَطَرَّقَ لِهذِهِ النَّاحِيةِ، فَقَالَ: خَفِيفُ الحَالِ؟! لَكِنَّ بَينَ تَعبيرِ العُلَمَاءِ وَغَيرِهِم بَونٌ شَاسِعٌ.

وَلِتَتُمَّ الفَائِدَةُ أَضَعُ القَصيدَةَ المَعنيَّةَ بَينَ يَدَي القَارِئ؛ لِيَطَّلِعَ عَلَيهَا وَيَسـمَع السَّـيِّد حَيدَر- عَلَيهِ رَحمَةُ الله- مُبَاشَرةً؛ لِيضَعَ قَولَ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ فِي مَوضِعِهِ المُنَاسِـبِ، قَالَ تَغَمَّدَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ مُتَحَمِّسًا:[2] [من البسيط]

وَرَاءَكِ اليَـوْمَ عَـنْ لَـهْوِي وَعَـنْ طَـرَبِي
فَـإِنَّ قَـلْـبِـيَ أَمْـسَـى كَـعْـبَـةَ الـنُّـوَبِ
لَا تَـطْـمَـعِي فِي وِصَـالِي إِنَّ لِي كَـبِـدًا
تَهْـوَى وِصَـالَ الـعُـلَا لَا الخُـرَّدِ الـعُـرُبِ
أَبَـعْـدَ حِـفْـظِي لأَسْـبَـابِ الـعُـلَا زَمَـنًا
أُضِـيـعُـهَـا لَـكِ بَـيْنَ الـلَّـهْـوِ وَالـلَّـعِـبِ

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠١.
(٢) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٥.

مَا بِتُّ مُسْتَمْطِرًا مِنْ مُقْلَتِي جَزَعًا
نَوْءَ المَدَامِعِ بَيْنَ النُّؤْيِ وَالطُّنُبِ[1]
قَدْحُ الأَسَى الْبَرْقُ، وَالرَّعْدُ الْحَنِينُ، وَأَنْ
فَاسِي الْجَنُوبُ، وَدَمْعِي دِيمَةُ السُّحُبِ[2]
وَلَا صَبَا- أَبَدًا- قَلْبِي لِغَانِيَةٍ
إِذْ لَيْسَ فِي حُسْنِهَا شُغْلِي وَلَا أَرَبِي[3]
فِي السُّمْرِ لَا السُّمْرِ مَعْقُودٌ هَوَايَ، وَلِلْ
بِيضِ الظُّبَى لَيْسَ لِلْبِيضِ الظِّبَا طَرَبِي[4]
وَمَا عَشِقْتُ سِوَى بِكْرِ العُلَا أَبَدًا
وَلَسْتُ أَخْطُبُهَا إِلَّا بِذِي شُطَبِ[5]
وَطَالَمَا صَرْفُ هَذَا الدَّهْرِ قَلَّبَنِي
فَلَمْ يَكُنْ لِسِوَى العَلْيَاءِ مُنْقَلَبِي
مَا ضَرَّنِي بَيْنَ قَوْمٍ خَفْضُ مَنْزِلَتِي
وَمَنْزِلِي فَوْقَ هَامِ السَّبْعَةِ الشُّهُبِ

(١) النَّوْءُ: قيل هُوَ النَّجْم الَّذِي يَكُونُ بِهِ المَطَرُ. (اللسان: ١/ ١٧٨)، والنُّؤْيُ: الحَفيرُ حَولَ الخِبَاءِ أَو الخَيمَةِ يَدفَعُ عَنهَا السَّيلَ يَمِينًا وَشِمَالًا وَيُبعِدُهُ. (اللسان: ١٥/ ٣٠١)، والطُّنُبُ والطُّنُبُ مَعًا: حَبْل الخِباءِ والسُّرادقِ وَنَحْوُهُمَا. (اللسان: ١/ ٥٦٠).

(٢) الدِّيمةُ: مِنَ المَطرِ الَّذِي لَا رَعدَ فِيهِ وَلَا بَرقَ تَدومُ يَومهَا، وَالجَمعُ دِيمٌ. (اللسان: ١٢/ ٢١٣).

(٣) صَبَا: مَالَ. (اللسان: ١٤/ ٤٤٩)، والغَانِيةُ: الجَارِيَةُ الحَسْناءُ. (اللسان ١٥/ ١٣٥).

(٤) السُّمرُ الأُولَ: الرِّمَاحُ، وَالثَّانِيةُ الجَوَارِي الحِسَان، وَالبِيضُ الظُّبَى: السُّيوفُ، وَالبِيضُ: الظِّبَا، جَمعُ الظَّبي.

(٥) أبيض ذي شطب: كناية عن السيف.

وَحَسْبُ نَفْسِي- -وَإِنْ أَصْبَحْتُ ذَا عُدُمٍ
مِـنْ ثَـــرْوَةٍ- أَنَّـنِـي مُـثْـرٍ مِـنَ الأَدَبِ
وَلَـسْـتُ آسَـى عَـلَى عُـمْـرٍ أَطَـابِـبُـهُ
أَنْفَقْتُهَا فِي ابْتِغَاءِ المَجْدِ فِي الكُرَبِ[1]
يَـأْسَـى عَـلَى الْـعُـمْـرِ مَـنْ بَـاتَـتْ تُـقَـلِّبُهُ
فِي مَطْرَحِ الـذُّلِّ كَـفُّ الْخَوْفِ وَالرَّهَـبِ
لَمْ يَـسْـرُقِ الـدَّهْـرُ لِي فَـضْـلًا وَلَا شَرَفًـا
وَمَـا ادَّعَـائِـي الـعُـلَا وَالمَـجْـدِ بِـالْـكَـذِبِ
وَإِنَّهَـــا لَـــمَـسَـاعٍ لَا نَـظِـيرَ لَـهَـا
وَرِثْـتُـهَـا عَـنْ أَبٍ مِـنْ (هَـاشِـمٍ) فَـأَبِ
مِـنْ مَـعْـشَـرٍ عَـقَـدُوا قِـدْمًـا مَـآزِرَهُـمْ
عَـلَى الـعَـفَـافِ وَكَـانُـوا أَنْـجَـبَ الـعَـرَبِ
وَالأَرْضُ لَمْ تَـبْـقَ مِـنْـهَـا بُـقْـعَـةٌ أَبَـدًا
إِلَّا سَـقَـوْهَـا بِـرَقْـرَاقِ الـدَّمِ الـسَّـرِبِ

وَمِنهَا:

حَـتْـفُ الْـحُـمَاةِ وَمِـقْـدَامُ الِـسُّـرَاةِ لَـهُ
فِي الـرَّوْعِ سَـطْـوَةُ هَـجَّـامٍ عَـلَى الـنُّـوَبِ
مَحْـضُ الضَّـرِيبَةِ، مِـغْـوَارُ الكَتِيبَةِ، مَحْـ
ـمُودُ النَّقِيبَةِ، يَـوْمَ السَّبْقِ وَالـغَـلَـبِ[2]

(١) آسى: أأسف وأحزن. (اللسان: ١٤/ ٣٤).

(٢) المحض: الخالص، ممحُوضُ الضَّرِيبة: مُنَقَّحًا مُهَذَّبًا. (اللسان: ٧/ ٢٢٧)، المِغْوارُ: المبالِغُ في الغارة. (اللسان: ٥/ ٣٦)، النَّقِيبةُ: النَّفْسُ وقيل الطَّبيعَة. (اللسان: ١/ ٧٦٨).

فِي كَفِّهِ مُرْهَفٌ مَاضِي المَضَارِبِ فِي
يَوْمِ القِرَاعِ تَرَاهُ سَاطِعَ اللَّهَبِ
يَمْضِي وَلَمْ يَعْتَلِقْ فِي شَفْرَتَيْهِ دَمٌ
مِنْ سُرْعَةِ القَطْعِ يَوْمَ الرَّوْعِ وَالرَّهَبِ
فِي مَوْقِفٍ بَيْنَ أَنْيَابِ الْحِمَامِ بِهِ الآ
سَادُ لَمْ تَنْجُ بِالأَقْدَامِ وَالْهَرَبِ
أَعْيَا المَنِيَّةَ حَتَّى أَنَّهَا سَئِمَتْ
قَبْضَ النُّفُوسِ بِهِ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ

وَيَلتَفِتُ السَّيد عَليّ الحُسينيّ إِلَى نَثرِ السَّيِّدِ حَيدَر، لِيُعْمِلَ مِعوَلَه فِيهِ، فَاختَارَ تَقريظَ (الرِّحلَةُ المَكِّيَّةُ) لِلحَاجِّ مُحَمَّد حَسَن كُبَّة، إِذْ قَالَ السَّيِّد حَيدَر[1]: أَيُّهَا الرائِدُ خَمِيلَةَ الآدَاب، المَاخِضُ ثَمِيلَةَ الأَفكَارِ والأَلبَاب، أَمْعِنْ سَيرَ رَواحِلِ فِكرَكَ فِي شِعَابِ هذهِ الرِّحلَة.. الخ.

فَقالَ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ: «وَيَستَطيعُ القَارِئُ أَن يُلَاحِظَ ضَعفَ بَعضَ التَّراكِيبِ النَّثريَّةِ؛ بِسَببِ اهْتِمامِهِ بِاللَّفظِ دُونَ المَعنَى، وَبِسَبَبِ اهْتِمامِهِ بِالقَافِيَةِ النَّثريَّةِ، وَكَذَلكَ يَستَطيعُ القَارِئ أَنْ يُلَاحِظَ المُبالَغَةَ فِي تَصويرِ المُرسَلِ إِلَيهِ مِنْ مِثلِ قَولِهِ: فَتَعَجَّب مِن مَاجِدٍ كَامَتَ[2] فِي شَرَخِ شَبَابِهِ، فِيهِ مَعَانِي السُّؤْدُدِ وَالرِّئَاسَةِ، فَأَصبَحَ كَعبَةَ الفُتُوَّةِ، وَمَروَةَ الإِحسَانِ وَالمُرُوَّةِ، تَتَعَرَّفُ النَّاسُ إِلَى عَرَفَاتِ جُودِهِ وَنَدَاه، فَما دَعَا طَائِفُ الرَّجَاءِ بِهِ إِلَّا وَلَبَّاه[3].. الخ»[4].

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٣٢٣.
(٢) هل سأل السيِّد عليّ نفسه عن معنى (كامت) هذه؟!
(٣) وما معنى إلَّا ولياه؟! الكاتب هنا يعرض لنا نصًّا من الديوان وينقده، فهو يحاسب على كلِّ حرف، ونحاسبه أيضًا، فلا عذر له في خطأ مطبعيّ، أو غيره، بنى هو عليه حكمًا.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠٨.

رَسَـمتُ النَّصَّ الَّذِي أَخَذَهُ السَّـيِّد عَلِّي الحُسَينيّ مِن دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر مِثلَما أَثبَتَه فِي كِتَابِهِ؛ لِأُبَيِّنَ الأَخْطَاءَ الَّتِي جَاءَت فِيهِ، فَشَوَّهَتِ النَّصَّ الجَمِيلَ، وَغَيَّرَت مَعَانِيه، وَبِهَا أَصدَرَ حُكمَهُ عَلَى السَّـيِّدِ حَيدَر، سَـأُعِيدُ كِتَابَةَ النَّصِّ نَفْسِـه مِثلَمَا جَـاءَ فِي الدِّيوَانِ، قَالَ السَّيِّد حَيدَر عَلَيهِ رَحمَةُ الله:

«وَتَعَجَّبْ مِن مَاجِدٍ كَمُلَتْ[1] فِي شَرَخِ شَـبَابِهِ فِيهِ مَعَانِي السُّؤدُدِ والرِّئاسَة؛ فَأَصْبَحَ كَعْبَـةَ الفُتُوَّة، وَمَرْوَةَ الإِحسَـانِ والمُرُوَّة، تتعرفُ للنَّاسِ عَرَفَـاتُ[2] جُودِهِ وَنَداه، فَمَا دَعَا طَائِفُ الرجاءِ به إِلَّا وَلَبَّاه»[3].

بَعـدَ أَن اطَّلَعنَـا عَـلَى رَأي السَّـيِّدِ عَلِيّ الحُسَـينيّ فِي نَثرِ السَّـيِّدِ حَيـدَر، لِنَطَّلِعَ عَلَى رَأي الدكتـور البَصير، قَالَ رحمه الله: «كَانَ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّيّ رحمه الله نَاثِرًا كَما كَانَ شَـاعِرًا، وَلَدينَا رَسَـائِلُ كَثيرةٌ مِنه كَتبَ بِهَـا إِلَى نَفَرٍ مِن أَصدِقَائِـهِ وَأُدَبَائِهِ، لَهَا طَابِعُهَا الفَنِّـيّ وَلَهَا قِيمَتُهَا الأَدَبيَّـةُ وَالتَّأرِيخِيَّـة، وَأَقولُ التَّأرِيخِيَّةُ؛ لِأَنَّهَا لَيْسَـتْ مِمَّـا يُقرَأ أَو يُكتَبُ نَظِـيرُهُ اليَومَ»[4]، وَيُضِيفُ الدكتور البصير: «إِنَّ رِسَـائِلَهُ المَسجُوعَةَ فَصيحةُ اللَّفْظِ، مَتينةُ السَّبكِ، رَصِينةُ الأُسلوبِ»[5].

ثُمَّ قَالَ الدكتور مَهدي البَصير: «وَمِثالٌ عَلَى ذَلِكَ: فَلَمَّا اسْـتَوقَفْتُ نَاقِدَ الفِكْرِ فِيهَا، وَسَرَّحْتُ رَائِدَ النَّظَرِ فِي أَلفَاظِهَا وَمَعَانِيهَا، وَجَدْتُهَا تَنْطِقُ عَنْ بَذْخٍ وَبأَو[6]، وَتَتَشَدَّقُ عَن

(١) حيدر الحِلِّيّ: ٢٠٨.
(٢) الشَّـاعِرُ يَستَعمِلُ التَّوجِيهَ بِأَسـمَاءِ بَعضِ الأَمَاكِنِ المَشهُورَةِ، الَّتِي تُقَامُ فيهَا مَنَاسِكُ الحَجِّ: المَروةِ وَعَرفَات.
(٣) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٣٢٣.
(٤) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧.
(٥) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧.
(٦) البأو: الكِبَر والفخر. (التاج ١٩/ ١٨٦).

شَـمَخٍ وَزَهو، قَدْ نَشَأَتْ مِن ضَمِيرٍ شَحَنَهُ الحَنَق، فَطَفَحَ بِالإِحَنِ إِنَاؤُهُ عَلَى لِسَانِ مُنْشِئِهَا فَنَطَقَ بِمَا نَطَق»(١).

وَأَضافَ الدكتور البَصير: «وَمَا يُشِينُهَا إِلَّا التِزَامُ السَّجعِ، وَلَكِنَّ لَا حِيلَةَ لَه فِي هَذَا، فَـإِنَّ هَذِه هِـي الطَّرِيقَةُ الَّتِـي كَانَ يَكتُبُ بِهَا النَّـاسُ فِي عَصرِهِ فِي العِـراقِ وَفِي غَيرِهِ مِنَ الأَقطَارِ العَربِيَّةِ»(٢).

وَيُخطِـئُ السَّـيِّد عَلِيّ الحُسَـينيّ مَرَّةً أُخـرَى فِي مَعرِفَـةِ الرِّجَالِ، فَيقـولُ: «فَلَم يَكُنِ المَمْدوحُ- الشَّـيخُ محمَّد حَسَـن كُبَّة- إِلَّا رَجُلًا عَادِيًّا، وَإِنَّمَا يَمتَازُ عَنِ الآخَرينَ بِامتلَاكِهِ قَلِيلًا مِنَ الثَّروةِ، وَبَعضًا مِنَ الأَرضِ يُشَارِكُهُ فِيهَا أَقرِبَاء وَإِخوَةٌ آخَرونَ»(٣).

كَلَامُهُ هَذَا قَالَه سَـابِقًا وَأَجبنَاهُ، وَقُلنَا: إِنَّ الشَّـيخَ الجَلِيلَ عَـالِمٌ كَبِيرٌ، قَدطَلَّقَ الدُّنيَا وَزَهَـدَ فِيهَا فِي وَقتٍ كَانَت سَـاجِدَةً لَهُ وَبَينَ يَدِيهِ، طَائِعَةً لَهُ، مُقبِلَـةً عَلَيهِ بِكُلِّ مُغرَيَاتِهَا، لَا يَسـتَحِقُّ مِنَّا سِـوَى الإِجلَالِ وَالتَّكرِيمِ؛ لِمَا قَدَّمهُ لِلمَذهَبِ وَالدِّينِ، ذَلِكَ هوَ الشَّيخُ الفَاضِـلُ محمَّد حَسَـن كُبَّة ابـنُ الحَاجِّ محمَّد صَالِـح كُبَّة، فَلَقَـد بَلَغَت مُؤَلَّفاتُـهُ بِحدودِ الخَمسِينَ مَا بَينَ كِتابٍ وَرِسَالَةٍ(٤).

أَمَّا عَن دِيوانِ السَّـيِّد حَيدَر الحِلِّي، قَالَ السَّـيِّد عَلِيّ الحُسَـينيّ: «حَدَّثَنِي أَحَدُ أَحفَادِ الشَّاعِرِ بِأَنَّهُ- أَي حَيدَر- كَانَ يَطلُبُ إِلَى الوَرَّاقِينَ نَسخَ دِيوَانِهِ، وَكَانَ يَهدِيهِم مُقَابِل ذَلِكَ خَمسَةَ لِيرَاتٍ ذَهَبِيَّة»(٥).

(١) ديوان السيِّد حيدر الحِلِّيّ: ٢/ ٤٠٢.
(٢) نهضة العراق الأدبيَّة: ٤٧-٤٨.
(٣) حيدر الحِلِّيّ: ٢١٠.
(٤) مرَّت ترجمته سابقًا.
(٥) حيدر الحِلِّيّ: ٢١٢.

وَنَقـولُ: إنَّ هَذَا الـكَلَامَ لَيسَ لَهُ نَصِيبٌ مِـنَ الصِّحَّةِ، وَالَّذِي قَـامَ بِجَمعِ الدِّيوانِ وَإعدَادِهِ لِلطَّبعِ هُوَ ابنُ أَخيهِ السَّـيِّد عَبدُ المُطَّلِب، كَمَا جَـاءَ فِي مُقَدِّمَةِ الدِّيوَانِ المَطبوعِ فِي الهِندِ، فَضلًا عَمَّا قَامَ بِهِ السَّـيِّد مِرزة ابنُ السَّـيِّدِ عَبَّاس الحِلِّي فِي مَخطُوطَتِهِ الَّتِي نَسَـخَ فِيهَا الدِّيوانَ بِخَطِّ يَدِهِ، وَجَمعَ فِيهَا مَا استَطَاعَ مِن شِعرِ السَّيِّدِ حَيدَر الحِلِّيّ رحمه الله.

وَيَدورُ السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ فِي حَلَقَةٍ مِنَ المَعلومَاتِ غَيرِ الصَّحِيحَةِ، فَيقولُ: «السَّبَبُ الهَام فِي بَقاءِ شِـعرِهِ هُوَ مُحتـوَاهُ الدِّينيّ، وَهذَا مَا دَفَعَ رِجَالَ الدِّيـنِ إِلَى الاهْتِمَامِ بِهِ وَجَمعِهِ وَنَشرِهِ»[1].

نَقولُ: لَو كَانَ الأَمرُ كَذلِكَ، لَـحُذِفَت كُلُّ أَشـعَارِهِ، وَأُبقِيَ عَلَى الشِّـعرِ الدِّينيّ، كَما يَقولُ الكَاتِب، وَالدِّيوانُ حَافِلٌ بِكُلِّ الأَغرَاضِ الشِّعريَّةِ.

وَعِبارَتُـهُ الأَخيرَةُ: «مَـا دَفَعَ رِجالَ الدِّينِ إِلَى الاهتِمامِ بِهِ وَجَمعِهِ وَنَشـرِهِ» نَقولُ: إِنَّ رِجَـالَ الدِّيـنِ لَم يَجمعُوهُ وَلَم يَنشرُوهُ، قُلنَاهَا مَرَّات عَديدَة، فَالَّذِي جَمعَه ابنُ أَخِيهِ السَّـيِّدُ عَبدُ المُطَّلِب ابنُ دَاودَ، وَالَّذِي نَشَرَه الحَاجُّ عَليّ المَحلَّاتِي الحَائِريّ.

لَم يَفهَم السَّـيِّد عَليّ الحُسَينيّ قَولَ السَّيِّدِ حَيدَر، وَلَم يُقَدِّر المَواضِيعَ حَقَّ قَدرِهَا، فَقَد عَقَّبَ عَلَى قَولِ السَّـيِّدِ حَيدَر فِي العِقدِ المُفَصَّلِ: «إِلَّا أَنِّي لَم أُثبِت فِيهِ مَا كَانَ لِي فِي غَيرِهِم، إِلَّا مَا هُوَ آخِذٌ بِنَصيبٍ وَافِرٍ مِنَ الحُسـنِ وَالظَّرفِ، إِضرَابًا عَنِ الإِطنَابِ المُخِلِّ، وَاجتِنَابًا عَنِ الإِكثَارِ مِن إِيرَادِ مَا يَخرجُ عَنِ المَحَلِّ»[2].

هَذَا النَّصُّ الَّذِي أَخَذَه عَن طَبعَةِ الشَّـابَندَر، هُو غَيرُ النَّصِّ الَّذِي كَتَبَهُ السَّيِّد حَيدَر، وَالمَوجـودُ فِي مَخطوطَـةِ الكِتَابِ، وَالَّـذِي ذَكرنَاهُ فِي تَحقِيقِنَـا لِلعِقدِ المُفَصَّلِ، قَالَ السَّـيِّد حَيـدَر: « إِلَّا أَنِّي لم أُثبِـتْ فِيهِ مَـا كَانَ لِي فِي غَيْرِهِمْ، إِلَّا مَا هُوَ الفَائِزُ مِنَ المَحَاسِـنِ بِأَعلَى

(١) حيدر الحِلِّيّ ٢١٢.

(٢) العقد المفصَّل، الشابندر، المقدِّمة: ٤.

القِدَاح، وَلَمْ أَضِفْ إِلَى مَا كَتَبْنَا بِهِ إِلَيْهِمْ أَنَا وَعَمُّنَا المَهْدِيُّ مِنَ الرَّسَائِل، إِلَّا مَا هُوَ الفَائِقُ مِمَّا كَتَبْنَا بِهِ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنَ الأَمَاثِل، إِضْرابًا عَنِ الإِطْنَابِ المُخِلِّ، وَاجْتِنَابًا للإِكْثَارِ مِنْ إِيرَادِ مَا يَخْرُجُ بِأَجْنَبِيَّتِهِ عَنِ المَحَلِّ»[1].

فَلَو أَثبتَ السَّيِّد حَيدَر كُلَّ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَيهِم هُوَ وَعَمُّهُ المَهديّ مِنَ الرَّسَائِلِ؛ لَاحْتَاجَ ذَلِكَ إِلَى كُتُبٍ، فَاخْتَصَر اجْتِنَابًا لِلإِكثَارِ وَالإِسهَابِ. وَهَذَا لَا يَنطَبِقُ عَلَى فِقَرَاتٍ أُخرَى ذَكَرَهَا الكَاتِب عَليّ الحُسَينيّ، مِثل: «الحَديثِ عَنِ (الأَسماءِ وَالكُنَى وَالأَلقَابِ) الَّذِي اسْتَغرقَ سِتَّ صَحَائِفٍ[2]، وَ(نَوادر الفِتيَانِ والبُلَغَاء) الَّذِي اسْتَغرَقَ عَشَر صَحَائِفٍ[3]»[4]، الخ.

نَقولُ: لَو طَلبنَا مِن شَاعرٍ نَاثرٍ كَاتبٍ مُقتَدرٍ مِثلَ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّي أَن يَكتُبَ لَنَا عَنِ (الأَسمَاء وَالكُنَى وَالأَلقَاب عِندَ العَرَب)، أَو (نَوادِر الفِتيَانِ وَالبُلَغَاء)؛ لَأَلَّفَ لنَا كُتبًا مُمتِعةً حَقًّا، فَمَا قِيمَةُ سِتِّ صَحَائِفٍ أَو عَشرِ صَحَائِفٍ مِن كِتابٍ يُعدُّ مَوسُوعَةً أَدَبيَّةً، مِثلَ العِقدِ المُفَصَّل؟! لِكي نَقولَ عَنهُ قَد أَسهَبَ؟!.

وَيَتَطرَّق السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ إِلَى الأَخطَاءِ الكَثيرةِ فِي كِتَابِ العِقدِ المُفَصَّل، طَبعة الشَّابَندَر، وَيُدرج فِي كِتابِهِ جَدولًا بِالأَخطَاءِ مُعظَمُهَا طِباعيَّة مَفهومَة، لَا تَستَوجِبُ الرَّد، وَقَليلٌ مِنهَا تَسهيلٌ لِلهَمزَةِ، فَتُحوِّل التَّهنِئَةَ إِلَى تَهنِيَةٍ، وَلَم أَجد مَا يَجلبُ انْتِباهِي إِلَّا مُفرَدةً جَاءَت فِي أُرجُوزَةِ لَبيدِ العَامِريّ الَّتِي أَنشَدَهَا فِي حَضرَةِ المَلكِ النُّعمَانِ بنِ المُنذِرِ وَقصَّتُها مَذكورةٌ فِي العِقدِ المُفَصَّل:[5]

(١) العقد المفصَّل، المحقِّق، المقدِّمة: ٤٦.
(٢) قال صفحات: يريد صحائف أو صحف.
(٣) وهذه كسابقتها.
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٢٤.
(٥) العقد المفصَّل، المحقِّق، المقدِّمة: ١٧٩-١٨٤.

قَالَ لَبيد العَامِريّ:

يَـا رُبَّ هَـيْـجَـا هِـيَ خَـيْرٌ مِـنْ دِعَـهْ
إِذْ لَا تَـــزَالُ هَـامَـتِـي مُـقَـزَّعَـهْ[1]
نَـحْـنُ، بَـنِـي أُمِّ الـبَـنِـيْنَ الأَرْبَـعَـهْ
وَنَـحْـنُ خَـيْرُ عَـامِـرِ بـنِ صَعْصَعَهْ

وَفِي الدِّيـوانِ تُروَى: نَحـنُ بَنو أُمِّ البَنينِ الأَربَعَـة، لِذَلِكَ عَدَّهَا خَطَـأً وَوَضَعَهَا فِي جَدولِ الأَخطَاءِ، فَنقولُ: إِنَّهَا تُروَى فِي الحَالَتَينِ، وَالنَّصبُ فِي الفَخرِ أَعلَى.

فَقَولُـهُ (نَحنُ بَنُو)، مُبتَدأٌ وَخبر، فَالشَّـاعِرُ يُخبِرُ عَنْ أَبنَـاءِ أُمِّ البَنينِ، لَكِنَّ فِي مَوضعِ الفَخرِ يَجعَلُهَا مَفعولًا لِفِعلٍ مُضمَرٍ، كَأَنَّهُ قَالَ:

نَـحـنُ، أَعـنِـي بَـنِـي أُمِّ الـبَـنِـينِ

وَقَد أَجَازَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرِّد (المتوفَّى ٢٨٥هـ) ذَلِكَ، وَمِثلُهُ، قَولُهُم:

نَـحـنُ بَـنِـي ضَـبَّـةَ أَصـحَـابَ الجَـمَـل[2]

السَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ يَتَّهِمُ السَّيِّد حَيدَر الحِلِّيّ- عَلَيهِ رِضوَانُ الله- بِأَنَّهُ يَصِفُ مَمدوحَهُ بِصِفَـاتٍ بَعيدَةٍ عَنهُ، فَكَأَنَّه يَكذِبُ، فَيقولُ: «لَم تَكُن تِلكَ المُقَدِّماتُ[3] إِلاَّ بِضعَةَ سُـطُورٍ تُبَالِغُ فِي وَصفِ الشَّاعِرِ بِصِفَاتٍ هِيَ بَعيدَةٌ عَنهُ»[4].

وَنُجيبُ السَّـيِّد عَليّ الحُسَـينيّ، بِمَا قَالَ الدكتور البَصير رحمه الله فِي مَقَامِ كَلَامِهِ عَن عَلَاقَةِ السَّيِّد حَيدَر بِالسَّادَاتِ وَالعُلَمَاءِ وَالأُدَبَاءِ المُعَاصِرينَ لَهُ، وَرِثَائِهِ لَهم فِي حَالَةِ وَفَاتِهِم بِأَصدَقِ

(١) رَجُلٌ مُقَزَّعٌ: رَقِيقُ شَعرِ الرَّأسِ، مُتَفَرِّقُه. (التاج: ٢٢/ ٩).
(٢) الكامل في اللغة ١/ ٣٠٨.
(٣) مقدمات القصائد في كتاب (الأشجان في مراثي خير إنسان).
(٤) حيدر الحِلِّيّ: ٢٣٧.

لُغَـةٍ، فَهوَ يَتعامَلُ مَعَهم بِالطَّريقَةِ نَفسـها عِندَمَا يَكونوا أَحياءً يُشَـاركونَهُ فِي المُنَاسَـباتِ المُختَلِفـةِ، قَالَ الدكتـور البصير: «عَلَى أَنَّنَا إِذَا اسْتَحْسَـنَّا رِثَاءَ حَيدَر، فَإِنَّما نَسْتَحْسِـنُ لَهُ تِلـكَ الصَّفَحَاتِ المُمْتَازَةَ، الَّتِي تُمَثِّلُ أَخلَاقَ مَن رَثَـى مِن ذَوي العِلمِ وَالفَضلِ وَالأَدبِ وَالدِّيـنِ، وَمَواهِبَهُم، وَمَراكِزَهُـم الأَدبِيَّةَ وَالدِّينيَّةَ وَالاجْتِماعِيَّـةَ، أَصدَقَ تَمثيلٍ، وَتُصَوِّرُ عَلَاقَتَهُ بِهِم أَحْسَنَ تَصويرٍ»[1].

الخُلَاصَة

لَـمَّا تَصَفَّحتُ كُتَيِّب (حيدر الحلي) لِلسَّيِّد عَليّ الحُسَينيّ، لَم أَجِد فِيهِ مِنَ المُلاحَظَاتِ العِلميَّةِ، أَو المَآخِذِ الأَدَبيَّةِ، أَو الإِشَـارَاتِ التَّقويميَّةِ المُهمَّةِ أَو المُفِيدَةِ، الَّتي تَخصُّ السَّـيِّد حَيـدَر الحِلِّيّ ﷺ أَو شِـعرَهُ أَو مُؤَلَّفَاتَـهُ، بَل كُلُّ الَّذِي وَجَدتُهُ وَلَـمِسـتُهُ، أَنَّ هَذَ الشَّـاب صَاحِب الاثنينِ وَالعِشرينَ رَبيعًا، الَّذِي تَشَـبَّع بِالأَفكَارِ السِّيَاسِـيَّةِ الماركسيَّةِ، قَد تَزَبَّبَ وَهوَ حِصْـرِم، فَأَرَادَ أَن يَظهَرَ أَمَامَ النَّاسِ عَلَى أَنَّهُ أَصبَحَ مِنَ العُلماءِ وَالنُّقَّادِ الكِبارِ، بِتَنَاولِهِ هَذَا الصَّـرحَ العَظِيمَ، مُحَاوِلًا هَدمَهُ بِمعولِهِ، مُنتَصِرًا لِأفكَارِهِ، فَبدأَ بِالعُنوانِ سَالِبًا السَّيِّد حَيدَر الحِليِّ مِن لَقَبِ السِّيَادَةِ، فَكَانَ يَذكرُهُ فِي كُلِّ الكِتَابِ بِاسمِهِ المُجَرَّد مِن كُلِّ المُقَدِّمَاتِ، كَأَنَّهُ أَخوهُ أَو صَديقُهُ أَو قَرينُهُ، وَلَيسَ السَّـيِّد حَيدَر وَحدَه، بَل كُل الشَّخصِيَّات العِلميَّة وَالأَدبيَّة مِن أُسرَةِ (آل سـليمان)، السَّـيِّد سُليمان الكَبير، وَالسَّـيد دَاود، وَالسَّيد سُليمان الصَّغير، وَالسَّـيد مَهدي بن دَاودَ، وَالسَّـيد عَبد المُطَّلب، إِلَى أَن يَصِلَ إِلَى الأَحيَاءِ الَّذينَ أَمَـدُّوهُ بِالمَصَادِر وَالمَعلومَات النَّفِيسَـة، الَّتِي يَحتَاجُ إِلَيهَا لِلبحثِ؛ لِـمُسَـاعَدَتِهِ فِي ذَلِكَ، وَمِنهُم السَّـيِّد سُليمان الحِلِّيّ، هَذَا الرَّجلُ الحَوزَويّ، الخَطيبُ، الأَديبُ، الجَليلُ، الشَّاعِر،

(١) نهضة العراق الأدبيَّة: ٦٧.

بِعُمرِهِ الَّذِي تَجاوزَ عُمرَ السَّـيدِ عَبدِ الحُسَينِ أَبِي عَلي الحُسَينيّ، وَكَانَ السَّيد سُليمان الحِلِّيّ مَرجعًا شَرعيًّا لِلمَنطَقَةِ الَّتِي عَاشَ فِيهَا قَومُ السَّيدِ عَليّ الحُسَينيّ وَأَعمامُه، فَكانَت النَّاسُ تُراجِعُهُ فِي كُلِّ صَغيرةٍ وَكَبيرةٍ، لَقَد كَانَ جَزَاؤُهُ مِن عَليِّ الحُسَينيّ أَنه لَم يَذكرهُ بِكَلمِةِ شُكرٍ وَاحِدة، بَل عَلَى العَكسِ مِن ذَلِكَ، كَانَ إِذَا ذَكَرَه يَذكرهُ بِاسمِهِ المُجَرَّد، وَكَأَنَّه هُوَ صَديقُه أَو قَرينُه أَو مَا شَابَهَ ذلك.

مَـا هَكَذَا جَرَت عَـادَةُ العُلماءِ وَالكُتَّـابِ وَالبَاحِثِينَ، فَقَد كَانوا وَمَـا زَالوا يَذكرونَ المَكتبَـاتِ الَّتِـي تُؤَازِرُهُـم بِالبَحثِ بِكُلِّ الشُّـكرِ وَالأمتِنَانِ، وَبِأَسـمَى آيَـاتِ الاحْتِرَامِ وَالتَّقديـرِ، وَهَكـذَا يَفعلـونَ مَـعَ أَصحَابِهَا، فَيذكـرونَ فَضلَهـم عَلَيهِم، وَيَشـكروهم وَيَصفوهُم بِالإِجلَالِ وَالإكبارِ وَالتَّكريم.

وَلَا بُـدَّ أَن أَقـولَ هُنَـا: إِنَّ السَّـيِّدَ عَـليّ الحُسـينيّ عِندمَـا أَلَّفَ هَـذَا الكِتَابَ سَـنَةَ (١٩٦١م)، مِثلَ مَا جَاءَ فِي المُقَدِّمةِ، لَم يَنشـرهُ، بَل نَشَـرَ عُدَّةَ دَواوينَ شِـعريَّةٍ وَمُؤَلَّفاتٍ أُخرَى، قَالَ السَّيِّد عَدنان الحُسَينيّ: «وَلَه اصْدَارَاتٌ مِنهَا: أَعرَاسُ تَموز ١٩٥٨، وَالمِيلَاد ١٩٥٩، وَسِـفر عَبـد الرَّحمن الدَّاخِل ١٩٨٠، وَدَفـتر المَحَبَّة، وَآمَنتُ بِالعِـراقِ، وَلُؤلَؤة الجنوب»[1].

وَلَيـسَ هُنَاكَ سَـبب لِذلِـكَ، إِلَّا أَن المُؤَلِّفَ عَـرضَ مُؤَلَّفَهُ هَذَا عَلَى مَـن يَثِقُ بِهِ، أَو عَلَى خَبيرٍ، فَنَصَحَهُ بِعَدَمِ نَشـرِهِ، فَلَم يَنشـرهُ، وَجَاءَ ابنُهُ الدكتور المُهندس السَّـيِّد نَصير الحُسينيّ، وَكَانَ مُهاجِرًا، فَوجَدَ هَذا مُسَوَّدَة الكُتَيِّبِ مَعَ أَورَاقِ أَبِيهِ، فَنَشَرَهُ.

(١) حصن سامة، لمحات من ذاكرة قرية الحصين: ٢٧٩.